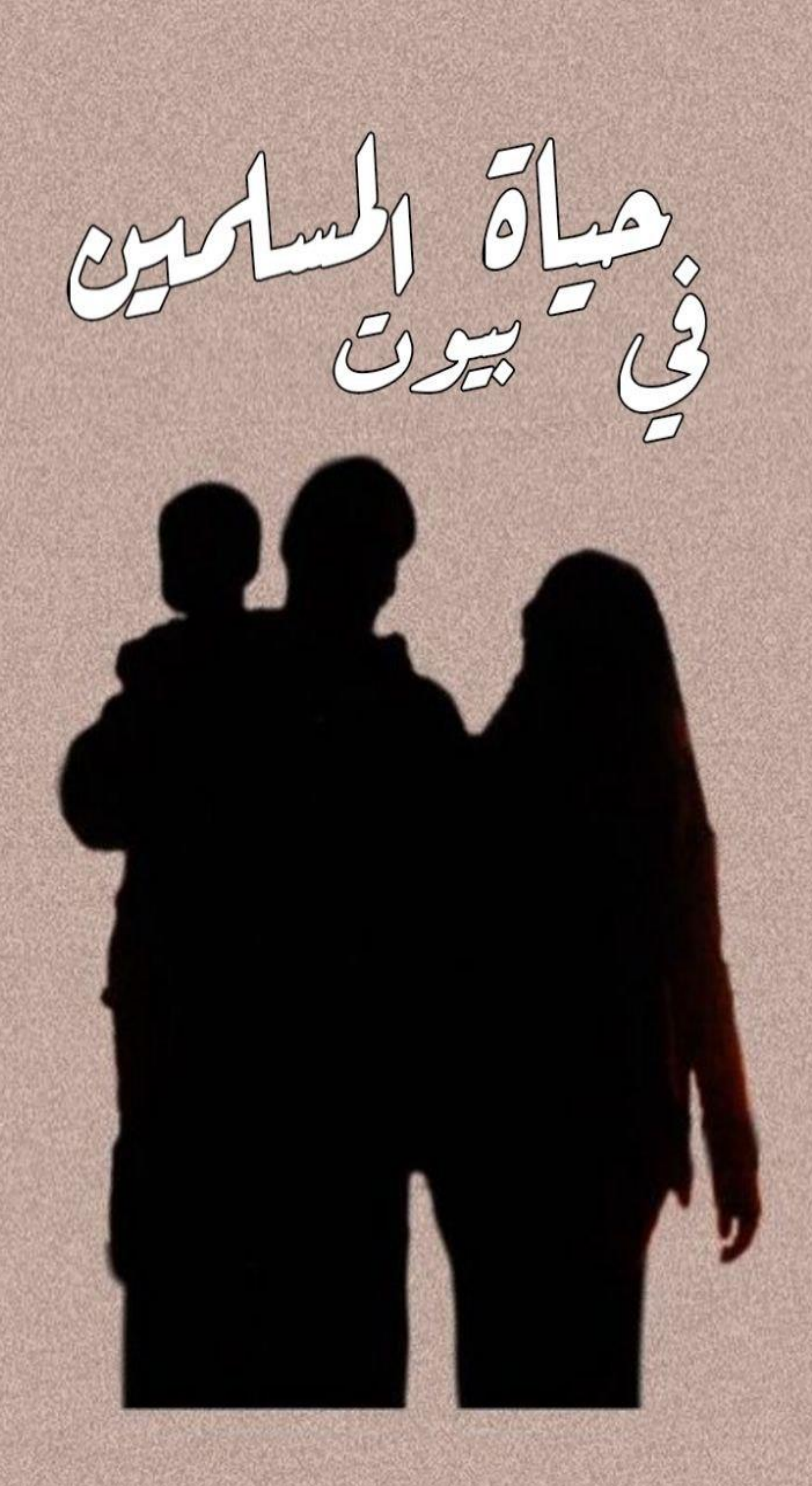

حياة المسلمين
في بيوت

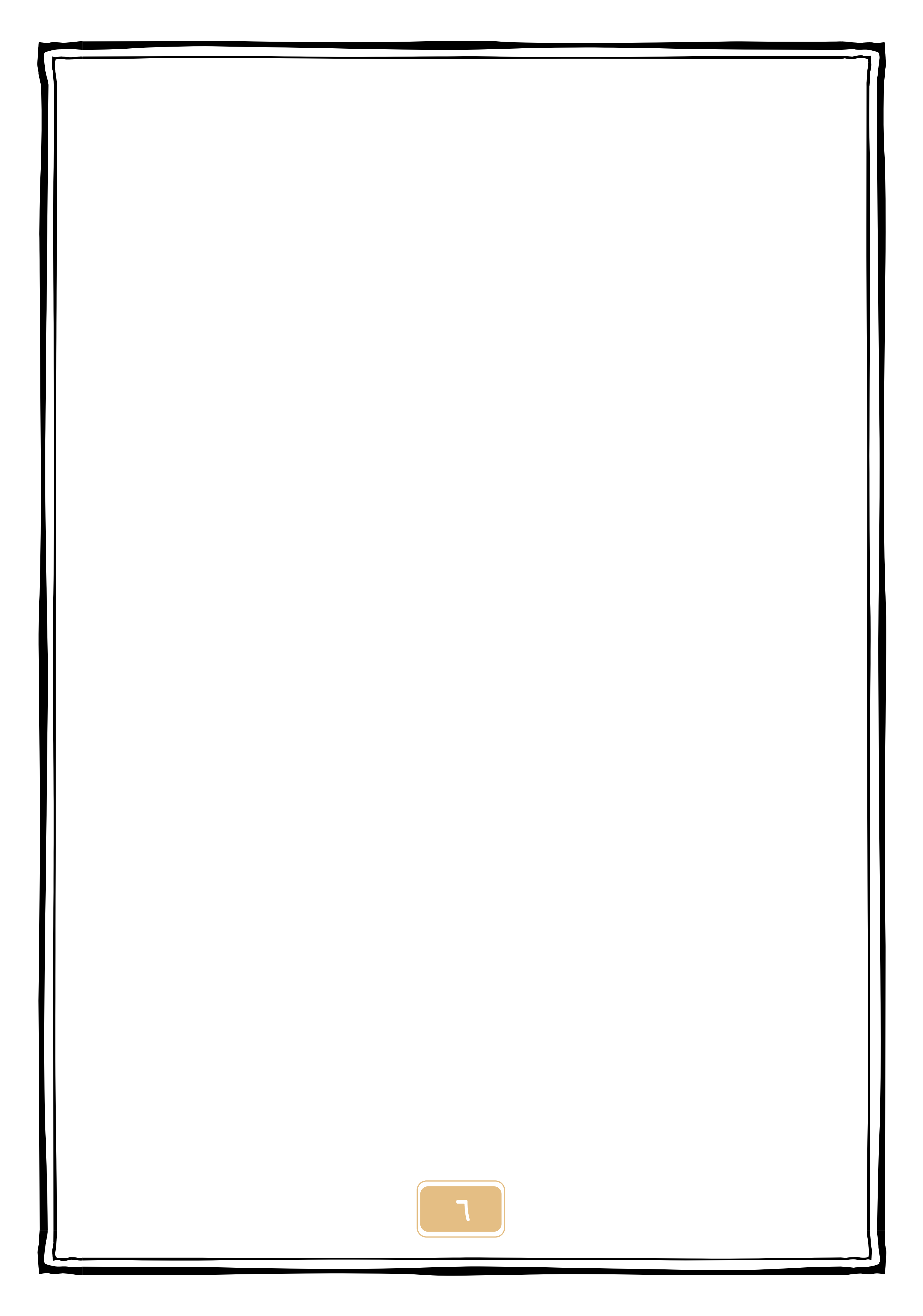
هذا الكتيب سيضم منشورات الشيخ الفاضل حمزة أبو زهرة والتي نشرها تحت وسم #في_حياة_بيوت_المسلمين ، وكذلك بعض المنشورات الأخرى التي غلب على ظننا أنها مناسبة للسياق.. مع محاولة منا لترتيب المواضيع المتعلقة ببعضها وجعلها متتابعة ، سائلين الله أن يرضى عنه ويرضيه ويرزقه الفردوس الأعلى ، وأن يتقبل منا هذا العمل البسيط ويرزقنا الإخلاص.

الفهرس

مقدمة

اللهم ربَّنا ربَّ العالمينَ الرحمنَ الرحيمَ؛ زوِّج -على اليسرى- شباب المسلمين؛ من نساءٍ صالحاتٍ؛ يكنَّ عونًا لهم على أمر دينهم ودنياهم، وزوِّج نساء المسلمين؛ من شبابٍ صالحين؛ يكونون عونًا لهنَّ على أمر دينهنَّ ودنياهنَّ، تيسيرًا وتدبيرًا لهم أجمعين، لا حول ولا قوة لهم -في عفتهم- إلا بك أنت العزيز الحكيم.

- حمزة أبو زهرة -



الحب الجاهلي

• لمَّا (حُب جاهلي) بينتهي من أحد الطرفين بالتوبة والاستقامة مع الله ، والطرف التاني يضغط عالأول عاطفيًّا مرَّة ، ويهدِّده مرَّة ، عشان ترجع المَيَّه منه لمَجاريها ؛ فده -مع كُونه أنانية فجَّة ، وشهوة قذرة- (خُلُق فرعوني) استبدادي قديم.

فرعون -لعنه الله- عمل كده بالضبط مع سيدنا موسى عليه السلام ؛ في البداية حَب يضغط عليه عاطفيًّا ، قال له: "أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِك سِنِينَ" ، وبعدين قلَب عليه وهدِّده ، وقال له: "وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ".

إيه يا فرعون! كنت بتتكلم هادي.. وتربية.. وعِشْرة عُمْر ؛ قلبت ليه كده!

عواطف وظيفية.. وِجدانيات السوق.. مشاعر براجماتية ، والأغراض أمراضٌ.

شهواتٌ عارضةٌ رخيصةٌ يغلِّفها سُكارى السِّكك بأغلفة الحب النبيل ، وتعسًا لهم!

الحب الحقيقي اللي بيعيش يا حبيبي ؛ هو اللي بيحفظ فيه الطرفين بعضهم من الفساد والتلف ، ومفيش فساد ولا تلف أكبر من مساخط ربنا وآثارها عليهم. نفسي نصدَّق ربنا قبل ما نغرق ، تصديق المؤمنين حقًّا ، مش كلام والسلام. حافظوا -يا غاليين عالدِّين- على قلوبكم ؛ عواطفكم ومشاعركم ، متبتذلوهاش.

• قال: أنقذني -يا أبتِ- أنقذك الله وأنقذ بك ؛ أنْجَى ربي قلبي من عشق امرأةٍ لا تحل لي مدةً من الزمان ، وإني أبتغي اليوم الإحسان إليها بعد عظيم

الجناية عليها ؛ فدُلَّني على خيرٍ آتيه إليها لا أُفرِّط فيه. قلت: يا بني ؛ إياك والصِّياعة الإسلاموية فإنها أدهى وأمرُّ! يا بني ؛ إن صلحتَ لها وصلحتْ لك -في نكاحٍ ربانيٍّ تستأنفان بجَوابره وصالًا على رضوانٍ من الله- فبِها ونِعمتْ ، وإلا فدعها ؛ "معها حِذاؤها وسقاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر .. حتى يأتيها ربُّها" ، يا بني ؛ تلك حيلةٌ للشيطان جديدةٌ يريد بها نكوصك مسافةً جديدةً ؛ لكنه وقد يئس -بتوبة الله عليك- أن يأتيك عن شمالك ؛ أتاك عن يمينك ، يا بني ؛ تقول العرب: "لا أريد ثوابك ؛ اكفني عذابك" ، ويحكون أن فأرةً سقطت من سقفٍ ، فظفرت هِرَّةٌ بحَملها تقول: بسم الله عليكِ ، فقالت الفأرة -بلَّغكَ الله رُشدَها وسامح أباكَ-: يدَكِ عني وأنا في عافيةٍ ؛ ما يريد هِرٌّ من فأرةٍ يا لئيم! يا بني ؛ يدَك عمَّن خنتَ اللهَ والرسول والإسلام وأهلها ونفسك ونفسها فيها .. وهي في عافيةٍ ، يا بني ؛ أما كفى قلبك سوالف الاستهبال! يا بني ؛ من أين لك ثقةٌ بقلبك وما أضلَّك سواه عن سواء السبيل! يا بني ؛ إن مِن أشد ما يُرهب أفئدة المؤمنين قولُ ربهم: "وَهُوَ خَادِعُهُمْ" ؛ فاخشَه واتَّقِه محيطًا شهيدًا ، يا بني ؛ لا تذكرها وإنْ بدعاءٍ في سجودٍ بسَحَرٍ ؛ فإن ذكْر عقلك لها اليوم يجرُّ ذكْر قلبك إياها غدًا ، يا بني ؛ يفشل الذين يواجهون استراتيجيات إبليس تكتيكيًّا ، يا بني ؛ إن الناجي من العشق لا يَبرحه عشقُه أولَ نجاته ؛ بل يُجحد في زاويةٍ من زوايا قلبه ساكنًا ساكتًا مُعَلَّبًا ، فإن هو

زاحَمَه بزاكيات النفس والدين والحياة مزاحمةً باطنةً وظاهرةً ؛ أذهبه الله إذهابًا ، وإلا هاج عليه وإنْ في امرأةٍ حديثةٍ يلوذ بها لياذًا حديثًا ، يا بني ؛ أما شأنك فاستصلحه من الله ، وأما شأنها فله ربٌّ يُصلحه ؛ ذلك حقُّ المتاب.

• أخي الذي أحب امرأةً لا تحل له مدةً ، ووصلها جانيًا على نفسه وعليها ، ثم قضى الله بينكما رأفةً بالفراق ؛ ليقطع -بفضله- سَيْلَ قلبيكما الجارفَ إلى الحرام ، ثم تدركك -الآن- غيرةٌ عليها من أجنبيٍّ غيرك يتعرض لها بشيءٍ من الوصل ؛ أنت -يا صاحبي- من قبل هذا الأجنبي أجنبيٌّ عنها كذلك ، لم يعرف الله ورسوله محبتك هذه يومًا ، ولا يبيح لك سالف الوئام منها شيئًا ، ولن يزن ذلك -ما دامت السماوات والأرض- في ميزان الحقوق والحدود جناح بعوضةٍ ؛ فتبصَّر يا رعاك الله.

هكذا يجب أن تخاطب قلبك كلما جمح ، وعقلك كلما شرد ، ونحن إذ نرفق بك من وجهٍ فنرجو الله لك عزيز المعافاة ؛ نشتدُّ عليك من وجهٍ آخر فنخوِّفك حرمات الله أن يحوم حولها فؤادك.

هذا أنا العبد ؛ إذا بلغني أنك تستطيل إلى ابنتي بشيءٍ من ذلك بغير حقٍّ تغيَّظت عليك ، وسعيت في مجازاتك بقدر جنايتك غير غافرٍ لك ؛ كيف هي غيرة الحق -جلَّ جلاله- على حرمات عباده ؟!

"يا أمة محمدٍ ؛ والله ما من أحدٍ أغير من الله أن يزني عبده ، أو تزني أَمَته" ؛ قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ربما تقول الآن: لم أبلغ الزنا ؛ وهل يدعك رسول الله -"حَرِيصٌ عَلَيْكُم"- حتى تبلغه ؟!

بئس خطابٌ قاصرٌ على ترغيب المبتلين بالعشق دون الترهيب ؛ فأما الله ورسوله فعلّمانا الجمع.

يا صديقي ؛ جاهد نفسك طمَّاحةً طمَّاعةً واغلظ عليها ؛ وكما تواسيها حينًا فازجرها أحيانًا أخرى.

قل لها: يا نفس ؛ ليس لعلة حبكِ شفاءٌ إلا بالوصال ، "لم يُرَ للمتحابَّين مثلُ النكاح" ؛ سنة بارئ الحب جلَّاها شيخ المحبين صلى الله عليه وسلم ، لن تجدي لسنة الله تبديلًا ولن تجدي لسنة الله تحويلًا.

يا نفس ؛ إن لم يكن نكاحٌ فسفاحٌ ، فإذا لم يقسم الله لكِ من الحلال نصيبًا بحكمته ؛ لم يبق لكِ إلا الحرام ، وإنه النار مهما لذَّ وطاب ، وإن أوله هذه الخطرات ؛ خطرةٌ ففكرةٌ فشهوةٌ فعزيمةٌ ففعلٌ ؛ كيف ؟!

يا معشر من بسط الرحمن في قلوبهم ؛ تخيروا لحبكم ؛ فإنما هي طاقةٌ واحدةٌ ، في حياةٍ واحدةٍ.

يا أيها المبتلاة قلوبهم بهذا الداء الوبيل ؛ استغيثوا الله بالعافية ، ولا تهملوا سببًا ييسّرِكم لليسرى ، وإلا فأنتم أشد الناس بؤسًا ؛ أسيرةٌ بالنهار أرواحكم ، نازفةٌ بالليل جراحكم ، "وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ".

• حب إيه اللي يُفسد قلبك وقلبها ودينك ودينها وحياتك وحياتها ؛ يا نصَّاب انت وهي!

دي شهوة حقيرة عندك ، وافقتْ شهوة حقيرة عندها ، وانت وهي موقنين بكده.

إن الله الحق لا يَدخل عليه الدَّجل ، عليمًا بذات الصدور ، ولسوف تعلمون.

ما أسمى الحبَّ فوقَ دناياكم! إلا حبَّ النفس ؛ بل عشقَها والهوانَ لها.

دي أنانية قبيحة طاغية جدًّا بينكم ؛ متغلِّفوهاش بغلاف المحبة.

يوشك إذا قُضيت الشهوات أن تفيقوا ، فتصبحوا ندامى.

"أصل زوجي مفرط في حقوقي" ؛ قاءتْها الخائنة.

وانت مال أهلك بتفريطه في حقها ؛ يا كلب!

تعرَّضوا بعض لجهنم ، وتقولوا لي حب!

متسرقش قلب مش بتاعك ؛ يا حرامي.

هي لزوجها حلالها بس ؛ يا واطي.

اتق الجبار الحسيب ؛ يا ندل.

واغوثاه رباه ، سلِّم سلِّم.

كل شويه خبر اسود.

من خاف أمِن.

اللهم نجِّنا.

آمين.

• لا يحل لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تفرّط في شيءٍ من باطنها أو ظاهرها مع ذئبٍ أجنبيٍّ عنها ؛ بدعوى تفريط زوجها في حقها وقسوته عليها وظلمه إياها ، لها من الفسق والخيانة والسوء في الدنيا ومن الجزاء الحق في الآخرة ؛ مثلُ ما لها من فاجر تفريطها ، فأما الذئب الذي يعاونها على الإثم والعدوان فسافلٌ وضيعٌ لم يربِّه رجلٌ ، لا يبرر فعلهما شيءٌ بين السماء والأرض إلى يوم القيامة.

يا عباد الله الميامين ؛ هذا أثرٌ يسيرٌ من آثار محافظة الجاهلين الظالمين على صورة الحياة الزوجية مع موت حقيقتها ، وقاتل اللهم من ضيق على الناس معاشهم وأفسد عليهم دينهم ، والطف بنا أجمعين.

• إذا وصلتك امرأةٌ لحاجةٍ ؛ فاتق الجبار معها ، لا تستطل بحرفٍ واحدٍ لا حاجة إليها فيه.

إنها أمك ، أو أختك ، أو ابنتك ، أو امرأة أخيك ؛ فإن فاتتك التقوى فلا تفتك المروءة ؛ أولست مؤمنًا ؟!

أما المرأة تسألك حاجةً وبينها وبين زوجها ضعفٌ في جانبٍ ؛ فعظِّم تقوى الله فيها مزيدًا.

"يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ" ، "يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ" ؛ يا غفور سلِّم سلِّم.

لم يمنع الشرع الحكيم مطلق الصلة بين الرجل والمرأة ؛ لكن بوصلته التضييق بينهما.

إن الله قد أحكم شرعه كما أحكم خلقه ، "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" ؛ أفلح من صدَّق الله.

أفيجعل الله من اتقى الفتن فنجا منها ؛ كمن فرَّط فغرق فيها ؟! "مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ".

يا عباد الله ويا إماءه ؛ "بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ" ؛ قلوبُكم حصونُكم فاحذروا.

الكلام بين الرجل والمرأة الأجنبية عنه جائزٌ للحاجة ، وبقدْرها ؛ "سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى".

ما زاد بينهما من حرفٍ أو نظرٍ أو مزاحٍ فشرٌّ هو ؛ طوبى لمن طيَّب موضع نظر ربه منه وطهَّره.

إن السعيد من وُعِظَ بغيره ، والشقي من وُعِظَ به غيرُه ؛ "فَاعْتَبِرُواْ يَآ أُولِي الْأَبْصَارِ".

ابن الجوزي رحمه الله: "من قارب الفتنة بعُدت عنه السلامة ، ومن ادَّعى الصبر وُكِلَ إلى نفسه".

"يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ" ؛ بين السلامة والعَطَب ركضة جريءٍ.

لقد رأيت أسرع الناس سقوطًا في الفتن الذين لا يبالون بشَرَكها ؛ كأنما سبقت لهم العصمة من الله.

لو قال الله: لك ما تحب في الناس فسَلْه ؛ لقلت: رب اجعلني زَامًّا للقلوب قبل طيشها.

إني لتبلغني الأهوال في الباب ، فأكاد أصرخ: ماذا علينا لو صدَّقنا الله أنه لا يمنعنا إلا ما يفسدنا ؟!

اللهم لا تجعل مصيبتنا الخيانة ، واحفظ علينا أنوار الأمانة ، وأدرك من فُتِنَ برحمتك.

• يا بنات الإسلام ؛ لا بأس بحديث الواحدة منكن إلى الرجل الأجنبي عنها بشروطٍ أربعةٍ ؛ الحاجة إلى الكلام ، أن تُقْدَر بقدْرها ، انتفاء الرِّيبة ، غلبة الظن على أمن الفتنة ، فأما الزيادة على هذا فلا ، ومن أَلَمَّت بشيءٍ من هذا فلتستغفر مولاها.

قالت: فإن كان شيخًا ؟ قلت: وإن كان شيخًا شيَّخه سنُّه وشيَّخه علمُه وتشيَّخ بكل مُشَيِّخٍ في الوجود ، ما بقي رجلًا فهو مَظِنَّة الفتنة ؛ بل الفتنة بهذا أشد من جهة الأمان إليه زيادةً عن غيره ؛ فاتقين الله في أنفسكن وفيمن تحدثن من الرجال.

إن الرجل ليكون كلبَ القلب ثعلبَ العين ذئبَ الجوارح ، فإذا عاين من امرأةٍ صدودًا بشرفها وتعاليها وتقواها ؛ فكأن قلبه حَمَلٌ وكأن عينه حمامةٌ وكأن جوارحه خِرافٌ ، وما نريد منه إلا أن يخسأ ظاهرُه ، ومَرَدُّ قلبه إلى ربه فليجعله كما يشاء.

يا أبناء الإسلام ؛ المرأة تقع لأحدكم بطريقٍ أو في وسيلة تواصلٍ ؛ لها حرمة الإسلام وإن كانت ظاهرة العصيان ، فلو لم يكن بينك وبينها سوى عقد الإسلام هذا الذي عقد الإله بينك وبين أهله ؛ لكان حِرزًا منيعًا في أمانها من نفسك.

كيف ولها حرمةٌ في نفسها وإن أسقطت هي منها ما أسقطت ، ولأهلها المسلمين حرمةٌ وإن فرَّطوا فيها ما فرَّطوا! ألم يأتك أن للكافرات في ديار الإسلام أمانًا لعن الله من خَرَقَه! كيف بحرائر الإسلام! فاتقوا الله أولي الألباب.

أمَّا المشتهرون بالمشيخة ؛ الرجل يقول لأحدكم: أحبك في الله. لا يقولها إلا حبًّا لربه ، هو يحبه فيحب من يظنهم أحبابه ، أنت غير محبوبٍ لذاتك ، أنت شيءٌ وقع لهم بطريق الله فأحبوه محبتهم كل شيءٍ مقرِّبٍ إلى المقصود الأعلى لذاته.

أما المرأة تحدثك لحاجةٍ في دينها أو دنياها ، فتغدر بقلبها ، فتنبسط إليها بالحرف الواحد يعلم الله في عليائه من فوق عرشه وسمائه أنه زائدٌ لا ينفعها ؛ فأنت غادرٌ ، وإن أقبح الغدر ما كان من مأمونٍ إليه ؛ كيف بمن يُسَمِّي الله بالمشيخة عليه!

"يُرفع لكل غادرٍ لواءٌ يوم القيامة عند استِه ، يُقال: هذه غدرة فلانٍ" ؛ لواءٌ مرفوعٌ إيغالًا في هتك أستاره يوم تُبلى السرائر ، وعند دبره لأن الغدر كالعورة لا أقبح منه ، ثم لأنه طعنٌ في الظَّهر. صلَّى الله على قائله خيرِ مأمونٍ إليه وسلَّم.

نعم وأجل وإي وبلى وحقًّا ولا جَرَم ؛ ضيَّق الإسلام ما بين الرجال وبين النساء ، وجعل المباح بينهما استثناءً مقدورًا بقدْره ، فليَرض عنه الأطهار فإنهم كفايته ، وليَسخط عليه الأوساخ ، لو رضُوا عنه وهم قابعون في نجاساتهم لشَكَكْنا فيه.

سيقولون: منغلِقٌ من علّمكَ هذا! قل: الله ، ثم ذرهم ، ويقولون: رجعِيةٌ من أفهمكِ هذا! قولي: الله ، ثم ذريهم. ربَّنا احفظ علينا ما بقي من عروة الحياء من عُرى دينك ، وأعِذنا أن تُنقَض من قِبَلنا ، لئن أرضيناك لم يضرَّنا سخطهم أجمعين.

• قطيعة تقطع الاختلاط بين الرجال والنساء!

لا فرق عند الله -في ذلك- بين العامة ، وبين من يتوهَّمون أنفسهم من الخاصة.

في الدراسة ، وفي الوظائف ، وفي طلب العلم!! وفي أعمال الخير!! وفي كل مجالٍ.

حتى ما يتسامح فيه كثيرٌ من الرجال والنساء -هنا- في الخاص والعام ؛ دعوه لوجه الله.

فظائع وأهوال تظهر كل ساعةٍ -فما دونها- تشيب لها نواصي الولدان ، وما خفي أعمُّ وأطمُّ.

عليهم من جبار السماوات والأرض ما يستحقون ؛ أولئك المبيِّضون للناس ظلمات الفتن.

لو أطلعتكم على ما يبلغني من ذلك -وأنا واحدٌ من الناس- لذهب بعضكم على بعضٍ حسراتٍ.

وحده الله ربي لا شريك له يعلم ما بنفسي من الغم ؛ لطفَك العظيم ببقايانا يا أكرم المُجيرين.

"وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا" ، "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" ؛ أفلح من صدَّق الحسيب جلَّ جلاله.

لا إله إلا الله ؛ به الغوث ، ومنه المعافاة ، ولا حول ولا قوة إلا به عزيزًا رحيمًا.

نعم أيها المتفتح الحكيم ؛ نحن المتخلفون الرجعيون المتطرفون ، وقانا الله برودتك.

الله الله في قلبك وقولك وعملك يا عبد الله ، الله الله في قلبكِ وقولكِ وعملكِ يا أَمَة الله.

أقيموا بينكم وبين الفتن -شبهاتها وشهواتها- جدارًا ، وزيدوه كل يومٍ لبنةٍ ، واستعينوا الله.

لست مبالغًا إذا قلت لك أخي ولكِ أختي: أنا بشحت منكم الرجاء ده ؛ بلاش تتساهلوا مع بعض.

أنت قبل ورَطات الأمور في سعةٍ وعافيةٍ ، وبعدها في ضيقٍ وبلاءٍ ، والدفع أسهل من الرفع.

"من وسَّع ما ضيَّق الله حرامًا ؛ ضيَّق الله عليه ما وسَّع حلالًا" ؛ سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

ذلك ؛ وإني -بحمد الله- أعرف أحكام الاختلاط في شريعة الله سبحانه ، وإن حرفي هذا لفي رعايتها.

أغلقِ اللهم على قلوبنا أبواب الفتن ، وأعنَّا على ما فُتح علينا منها ، واشغلنا

بمحابِّك ومنافعنا عن مغاضبك ومضارِّنا ، واغفر لنا ما سلف من آثامنا وفات ، وثبتنا على صراطك السويِّ إلى الممات.

• لا حبَّ من أول نظرةٍ.

الحب تراكُمُ إراداتٍ وأقوالٍ وأفعالٍ.

الحب آثار الظواهر في البواطن ، والبواطن في الظواهر.

الحب خارجَ الزواج من الرجل أو المرأة ؛ لا يكون إلا بتفريطٍ واستهبالٍ.

إلباسُ العاشق ثوب "فقد الاختيار" تخديرٌ لتقواه ؛ إذا نُفِخَ في الصور طار عنه فتعرَّى.

قول القائل: "لا سلطان لأحدٍ على قلبه" -بغير تقييدٍ- دجلٌ وفسادٌ عريضٌ ؛ كيف وحسابُ الله عبادَه في الدنيا والآخرة على ما في قلوبهم! فأما قبلُ فليحفظ العبد قلبه من عوادي الشهوات والشبهات بالاحتراز والاتِّقاء كما أمره الله تطبيبًا ، وأما بعدُ فليستعن العبد ربَّه السُّبُّوحَ القدُّوسَ على تطهير قلبه كما ألزمه مداواةً وتطبيبًا ، وما عجز عنه بينهما فغير مُؤاخَذٍ به ؛ رحمة الله واسعةٌ ، وهو اللطيف الخبير.

ذاتُ زوجٍ تسأل شيخًا! عن محبة قلبها رجلًا أجنبيًّا عنها حتى الرغبة في نكاحه ؛ يجب أن تُسأل أسئلةً تتولى هي جوابها بالمرصاد ، وأن يُقال لها في تقوى الله ربِّها ويُعاد ، وأن يُبسط لها النصحُ في صيانة بيتها ويُزاد ؛ لا أن ينعطف المجيب عليها برقَّةٍ باردةٍ ولطافةٍ شنيعةٍ ؛ كأنه صاحبةٌ لها تبثها

صبابة فؤادها في مجلسٍ ، أو أختٌ لها تشكو إليها لواعِج روحها في هاتفٍ! ثم يُثيبك أخو عصبيةٍ غبيةٍ للوغد غمًّا بغمٍّ فيقول: لله حكمة هذا الجواب! تالله لشقاء المرأة بمن سألت أعظم من بلائها فيما سألت.

ليس هذا آخر الزمان ؛ هذا شيءٌ بعدَ آخره ، لا تزيدك الليالي والأيام من سلف أئمة الإسلام إلا عجبًا! كيف كان اصطبار هؤلاء على مُشَوَّهات الفِطَر! أم كيف حِلْمُ الأنبياء على الذي أدهى وأمرُّ!

رحم الله قلب إمامٍ وَفَرَ وجعُه من غرائب النفوس حتى قال: "من المعضلات شرحُ الواضحات" ، ولله شعورُ إمامٍ بغربة عقله بين العقول حتى قال: "هَدْمُ المهدوم تعبٌ ، وتحصيلٌ للحاصل يورِث النَّصَب" ، وويلَ إمامٍ ضجَّ بما صار الناس إليه بعدما كانوا عليه حتى قال: "فكيفَ يصحُّ في الأذهانِ شيءٌ ** إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ"! ذاك عناءٌ شديدٌ -لمن جرَّب- لا تصلح له إلا نفوس هؤلاء الكبار.

ثُمَّتَ كلمةٌ أخرى ؛ ما بقي (أحمد سالم ، ومحمدٌ الأزهري الحنبلي ، وأبو قيسٍ محمد رشيد) ؛ يُعرِّفون أنفسهم -أيقاظًا وهم رقودٌ- بأنهم ليسوا سلفيين ، وما بقيت عقدة سلفيتهم القديمة تطاردهم في وعيهم ولا وعيهم ؛ فستجتاح منهم كل خيرٍ ، وسيتخبطون في هروبهم منها كلٌّ في سبُّوبته التي اختار.

هنالك لا تسل عن "سالمٍ" كلما أحدث أُحدوثةً يقول بها لنفسه -قبل الناس- "أنا مش سلفي متخلف ، أنا عصراني ومتمدِّن" ، لم أجمع "فتاوى العلماء الكبار في الإرهاب والتدمير" الذي لا أبرأ -اليومَ- إلا من لغته ، ولم أؤلِّف "شذرات البلاتين في سير العلماء المعاصرين" قبل أن أرميهم بنقائص العالمين.

ولا عن "الحنبلي" الذي لو نطق البث المباشر لقال له: ألعن عنك السلفية ؛ وتكُفُّ بثَّك عني!

ولا عن "أبي قيسٍ" الذي لو سمعه كافرٌ من الجاهلية التي يتعشَّق شعرَها - وهو يثني على جيش الطاغوت خيرًا ؛ إذ يلعن السلفيين لعنًا كبيرًا- لبصق في وجهه يقول: ضع لسانك عنا يا وضيع.

• لا تَشُدَّ خيوط نفسك كلَّها إلى جهةٍ واحدةٍ غيرِ جهة الله ؛ فإنك إن فعلت فزالت هذه الجهة عن مكانها قُطِعَت خيوطك كلُّها ، وكان سقوطك يقينًا لا شك فيه. ليس هذا حرفًا يقول لك: لا تتمنَّ من لذائذ النفس والجسد والدنيا شيئًا ؛ بل ما كان مُتَمَنَّاك حلالًا ، وكنت بأسبابه آخذًا ، وكان ربُّك الأكرم مقتدرًا ؛ فتمنَّ ما تشاء. إنما هو حرف أخٍ يحاذر عليك دمار مدمَّرين قبلك ، ظلوا يشدُّون خيوط أنفسهم كلَّها -بوعي حينًا وبغيره أحيانًا- إلى أمورٍ محتمَلَةٍ ، فلما لم تكن لهم تُبِّروا تتبيرًا. الدراسة ، الشهادة ، الوظيفة ، المال ، السفر ، الزواج ، الولد ، الغَربة ، المشروع ، أيُّ محبوبٍ من الأشياء والناس ؛ تمنَّ من هؤلاء ما تشاء ؛ فلربك الآخرة والأولى. أمَّا أن تُفني قوة قلبك في التعلق بشيءٍ لا تعرف رُجْحانه ولا تضمن حُصوله ؛ فاللهم لا. إنما هو قلبٌ واحدٌ ، وليس بعد إفناء قوته شيءٌ ينهض فيك لشيءٍ. ربُّك وحدَه المضمونة جهته المأمونة معاملته ، والخلق كله متقلبٌ متغيرٌ ؛ فلا تجعل شيئًا منه لآمالك المشتهى ولآلامك المنتهى. عوَّذتك بذي عرشٍ لا يزول.

قال: أحببت يا أبتِ ؛ حتَّى نسيت في جزئيَّات من أحبُّ كلِّيَّاتي ، ثمَّ جازاني بنسياني!

قال: أمَّا الأولى يا بنيَّ ؛ فمن علَّمك أنَّ الحبَّ لا يكون إلَّا إفناءً للنَّفس في المحبوب ؟ إنَّما ذلك لله ؛ فإنَّ حقَّ العبوديَّة ألا تبقى لغيره فيك بقيَّةٌ ، فأمَّا من النَّاس فالحبُّ نفعٌ وانتفاعٌ ، وإمتاعٌ واستمتاعٌ ؛ في باطنٍ وظاهرٍ ، والمحبُّون على إفناء نفوسهم يفنى حبُّهم أو يفنَون هم ، وقد خلق الله الحبَّ للحياة والإحياء.

لا أقصد به -يا بنيَّ- أن يكون نفعك مشروطًا بانتفاعك ، ولا أن يكون استمتاعك أوفى نصيبًا من إمتاعك ؛ فإن الحبَّ أن تؤثر حظَّ محبوبك منك على حظِّك منه ؛ لكنَّ من يستحقُّ قلبك تستحقُّ رعايته.

وأمَّا الأخرى ؛ فإنِّي لا أعجب منها عجبك ؛ فإنَّ كلَّ مملوكٍ مملولٌ ، وكلُّ محجوبٍ مطلوبٌ ، ومن أرخص نفسه زهَّد فيها ، بذلك مضت سنَّة الله في الخلق ؛ حتَّى أولئك الباذلين نفوسهم لمن يحبُّون.

يا بنيَّ ؛ لا حبَّ بغير ذلٍّ ؛ لكن من صاحبيه جميعًا ، فإن فعلا جمعهما الله على بساطٍ من العزِّ كريمٍ.



قلب عفيف



• الزواج وسيلةٌ للتقوى ؛ ليس هو التقوى.

إن الذين لا يغضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم خوفًا من مقام ربهم ؛ لا يَحجزهم الزواج عن ذلك حجزًا كما يلهيهم الأمل ، إنما الزواج وسيلةٌ إلى تقوى الله ، فمن جعله هو التقوى -جاهلًا أو مستهبلًا- فقد وهم وهمًا بعيدًا ، ألَا كَم عازبٍ حفظه خوفُ الله من الفتن ؛ حين ضيَّعتْ من المتزوجين الآمنين!

• "ترياق مفاعَلةٌ وافتعالٌ" لضبط الشهوة ، من صيدلية الإسلام.

قال الفتى: يا أبتِ ؛ انعت لي في الشهوة دواءً لا أسأل عنه أحدًا بعدك.

يا لبيكَّاه ولدي وربي المستعان ؛ هاكَ "ترياق مُفَاعَلةٌ وافتعالٌ" ؛ أما قبلها فمُزاحَمةٌ واصطبارٌ ، وأما خلالها فمُدافَعةٌ واختصارٌ ، وأما بعدها فمُراغَمةٌ واعتبارٌ.

قال الفتى: ليست الشهوة حالًا مُجْمَلةً فيناسبها هذا الإجمال ؛ فزدني.

يا بني ؛ أما المُزاحَمة قبلها ؛ فبالطيبات وبالمباحات ، زاحم بهنَّ وقتك ونفسك وجهدك ؛ فإن للشهوة مبتدأً وخبرًا ؛ فأما مبتدؤها ؛ فجَوَّانيٌّ وهو داعي النفس والجسد ، وأما خبرها ؛ فبَرَّانيٌّ وهو الفراغ ، فإذا صادف مبتدؤها خبرَها ؛ فلا تسَل عن تمام جملتها ، وإن مُقارفة النهايات من مُشارفة البدايات ، فزاحِم زاحِم.

وأما الاصطبار قبلها ؛ فمعناه ديمومة التصبُّر ، والتصبُّر تكلُّف العبد الصبر ، ومن تكلَّف شيئًا بلغه ، وقد قيل: المزاولات تعطي المَلَكَات ، والتمرينات تُبلِّغ الكمالات. يا بني ؛ إن يكن النصر صبرَ ساعةٍ ؛ فإن العافية من الحرام صبر لحظةٍ. يا بني ؛ رُبَّ شهوة ساعةٍ أورثت ذلَّ الدهر ، وإن السلامة لا يَعدلها شيءٌ ، ومن تعفف تخفف ، ولذَّات الصبر عند أهلها أطيب وأوفى ، وإنه لمن عزم الأمور.

وأما المُدافَعة خلالها: فنفسيةٌ، وحِسيةٌ.

فأما المدافَعة النفسية ؛ فبالرَّغب والرَّهب ؛ ترغِّب نفسك بتذكرة الله الحانية: "قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ" ، وتبصرة نبيه -صلَّى الله عليه وسلَّم- الحادية: "إن الله -عزَّ وجلَّ- ليَعجب من الشاب لا صَبْوة له" ، وترهِّبها بوعيد الخزي ، ولا خير في لذَّةٍ من بعدها النارُ ، وأشد من كل عقابٍ غضب الله.

وأما المدافَعة الحِسية ؛ فبالقيام من قعودٍ أو المشي من قيامٍ ، وبكل حركةٍ يُصرَف بها المخُّ عن مشغوله والقلبُ عن مطلوبه ، وإن ذكْر الله ليَجمع لك ذلك كله وزيادةً ، وخيره لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ لا تحوُّل من هياجٍ إلى سكونٍ ، ولا من فسوقٍ إلى تقوى ، ولا قوة على ذلك ؛ إلا بالله العزيز الحكيم عليًّا عظيمًا.

وأما الاختصار خلالها ؛ فمعناه الاقتصاد فيها ، لا تسرف في شهوةٍ محرمةٍ ، لا تستوف منها كل لذَّةٍ فيها. إن كان وَطَرُك يُقضى بوسيلةٍ واحدةٍ ؛ فلا تعْدُها إلى غيرها ؛ ذلك أسلمُ لنفسك اليوم وغدًا ، وإن كان يُقضى بك وحدك ؛ فلا تورِّط معك فيه غيرك ؛ ذلك أخف لك عند ربك حين تزول عنك سَكْرتك ، وهَبْ أن الوهاب وهبك منه توبةً ؛ من أين لك توبة إنسانٍ انتهك بك حُرمةً من حُرماته!

يا بني ؛ أنت محبٌّ لربك ، فإذا أصبت مما يكره شيئًا ؛ فذاك أمرٌ عارضٌ لا دائمٌ ، وعما قريبٍ أنت آيبٌ إلى مولاك ، فلا تستكثر من مساخطه ليَكْرُم دخولك عليه.

وأما المراغَمة بعدها ؛ فإغاظة الشيطان -على وسوسته وتزيينه- بتوبةٍ نصوحٍ عاجلةٍ ، تفسد عليه قصده من إغوائك وهو إسخاط الله عليك ، فتقول لربك بلسان مقالك وحالك: ربِّ لئن عصيتك بما تكره ؛ فلأفعلن لك ما تحب ، ألست تحب التوابين وتحب المتطهرين! فلأتوبن لك بالترك والندم والعزم ، ولأتطهرن لك بالطيبات بعد الخبائث ، ولأعجلن إليك بالصالحات يا أحب حبيبٍ لترضى.

وأما الاعتبار بعدها ؛ فالنظر إلى أسبابها العامة والخاصة ما ظهر منهما وما بطن لاجتنابها واتقائها ، وتأمُّل عواقبها في القلب والعقل والنفس والجسد حالًا ومآلًا ، فتستدل بما كان بها على ما لم يكن ؛ فإن الشهوات أشباهٌ لا جديد فيها.

يا بني ؛ أوصَد الله على قلبك أبواب الفتن جميعًا ، وأعانك على ما فُتِح عليك منها ، وشغلك بمَحَابِّه ومنافعك عن مغاضبه ومضارِّك ، وغفر لك ما سلف من آثامك وفات ، وثبَّتك على صراطه السَوِيِّ إلى الممات. أفلا تحب أن تكون رجلًا!

قال الفتى: قد أبردت كبدي ؛ جعل الله حرفك عن الخَنا صَوْنًا ، وعلى العفة عَوْنًا.

• هل أتاكم نبأ أولي العفاف ؟ نبأٌ طاهرٌ زكيٌّ حميدٌ ؛ لا يستوي أصحابه وأولو الخيانة ولا يلتقون.

العفيف تكفيه العفيفة -نفسًا وحسًّا- وترضيه ، والعفيفة يكفيها العفيف -نفسًا وحسًّا- ويرضيها ، ما أهنأهما بالًا وحالًا ومآلًا! هو -رَضِيُّ القناعة- لم يكشف عن أنثى قبلها فيحسب النساء كلهنَّ كذلك ، وهي -نبيلة البراءة- لم تبْلُ غيره فتحسب الرجال جميعهم كذلك. إلا بلاءً يبتلي الله به أهله عليمًا حكيمًا.

فأما من فجر ولم يتب فشقاؤه شقاءٌ ؛ لا يزال يقيس من يطلب على من ذاق ، ضعُف الطالب والمطلوب.

وأما من فسق وتاب فإن العفوَّ -الذي يحب العفو- يتوب عليه ؛ لا يزال يصدُق مولاه في توبته حتى يبلِّغه -في النكاح- بإخلاصها منازل أولي العفاف ؛ غوثُ المنان كريمٌ ، وكان الله توابًا رحيمًا.

يا فتيةً رضوا أرض الإسلام حشمةً وسماءه نقاءً ؛ احفظوا قلوبكم وفروجكم من عاديات الهوى والشهوات ؛ حتى يبسط الرحمن لأنفسكم من طيبات ما أحل لها ، واعلموا أن حياتكم حياءكم ، فإن زللتم فلا تسرفوا ، ومن غُلب - منكم- على هوىً أو شهوةٍ فليتب من قريبٍ ؛ فإن العقلاء إذا زلوا لم يضلوا ، يجبرون كسور ما مضى ابتغاءَ صَفْوِ ما بقي ؛ أولئك الذين فقهوا حظوظهم وأولئك هم الطيبون.

• قال: أؤخر الزواج حتى أوفَّق في طلب العلم والتنسُّك والدعوة إلى الله ؛ فما تقول ؟

قلت: الموفَّقون قبل الزواج موفَّقون بعده وزيادةٌ ؛ إذا فقهوا الحياة وصدقوا أنفسهم واستعانوا الله.

• قال: لا أتزوج -يا أبت- حتى أرضى عن نفسي مع الله ربي ، باطنًا وظاهرًا.

قال: رضيتَ عن الله ورضي عنك يا ولدي ؛ إنما أنت إنسانٌ مجبولٌ على العيوب تطلب الزواج في دارٍ مطبوعةٍ على الآفات ؛ فلا كمال لأحدٍ ولا تمام لشيءٍ ، وإن حولك الجاهلية تنهش -برغَبها ورهَبها- في الناس نهشًا ، وقد اندرس من الإسلام ما اندرس ، وإنا لفي آخر الزمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يا بني ؛ ليس شرط الزواج كمال النفس والدين والخلق ، بل حسبك معرفتك بنقائصك فيها وسعيك في معاليها مستعينًا بالله ربك ، يا بني ؛ ما كنت بعيوبك خبيرًا وبذنوبك بصيرًا ؛ فتزوج ، يا بني ؛ ما كنت معظمًا فرائض الله وحقوق عباده ؛ فتزوج ، يا بني ؛ ما كان فيك من خصالٍ أربعةٍ (الإيثار والوفاء والاحتمال والكرم) حظٌّ طيبٌ ؛ فتزوج ، يا بني ؛ ما كنت رجّاعًا عن الباطل إلى الحق إذا بُصِّرت بهما ؛ فتزوج ، يا بني ؛ ما فقهت أن الزواج عطاءٌ قبل أخذٍ وواجبٌ قبل حقٍّ ؛ فتزوج ، يا بني ؛ تزوج.

يا بني ؛ إني لأرجو بخوفك هذا أمانك مما تحاذر ، يا بني ؛ ليس العجب ممن يخشى قبل الزواج ألا يكون له أهلًا ، بل العجب ممن لا يخشى ، يا بني ؛ بين الثقة بالنفس المشروعة وبين الثقة بالنفس الممنوعة شعرةٌ فتبصَّرها ، ولا تكُ في الإزراء بنفسك من الغالين ، يا بني ؛ أبشر في زواجك بما وعد الله.



من الاختيار

وحتى الخطبة



• في اختيار الرجل والمرأة للزواج ؛ لا تدعوا الشهادة للغيب لزامًا.

كثيرًا ما يُظهر الله رؤوفًا رحيمًا -قبل الخِطبة أو بعدها- لطرفيها عيوبًا فيهما لا تطاق ، ثم يتجاوزانها كأن شيئًا لم يكن ، حتى إذا تزوجا لم يحتملا ، وضاقا بهذه العيوب ذرعًا ، وكان غالب عيشهما في مدافعتها ومعالجة آثارها ، ثم يكون بقاء زواجهما قبولًا لأدنى المفسدتين وأخفِّ الضررين وأن "الفأس وقع في الرأس" ؛ فما الحيلة ؟ فإذا سألتهما عن ذلك ؛ كان الجواب بين الرجاء والخوف ؛ قبلت بها رجاء صلاحها ، رضيت به مخافة فوات الزواج ، ولو أحسنوا قراءة رسالة الله ؛ لكان خيرًا لهم وأقوم.

ألا من كشف الله له -أول أمره- ذلك ؛ فلا يدَع الشهادة للغيب ، فإن الدفع أسهل من الرفع ؛ سنة الله.

• أربعٌ إذا كُنَّ في الرجل يريد خِطبتكِ؛ فلا عليكِ من نقصٍ به وعيبٍ: حرصه على رضوان الله، وعقلٌ يُرَدُّ إليه، وكرمٌ ظاهرٌ، ولِينٌ صادقٌ، وثِنتان إذا كانتا في المرأة تريد خِطبتها؛ فلا عليك من نقصٍ بها وعيبٍ: الإيمان بالحياء، والكفر بالنسوية.

فأما حرص الرجل على رضوان الله فنظريٌّ وعمليٌّ ؛ النظري: حرصه على معرفة ما لربه من حُكمٍ فيما يترك ويفعل ، ولو لم يكن طالب علمٍ ؛ بل حسْبه أن يسأل فيما يجهل من يثق بدينه وأمانته ، العملي: حرصُه على العمل بما علم ولو على الجُملة ؛ فإنه لا يخلو عبدٌ من تفريطٍ ؛ غير أن الحريص على الرضوان لا يكاد يعمد إلى العصيان ، فإن عمد أو غُلب أسرع

بالإياب ، وليس الحريص على رضوان ربه الذي لا يعصيه قطُّ ؛ لكنه الذي إذا ذُكِّر تذكَّر ، فكان لكسر عبوديته من الجابرين.

وأما عقله ؛ فإن الإيمان يزيد وينقص ، فعسى إن نقص فرُدَّ إلى عقله كان إلى مقتضى الإيمان أقرب ؛ وليس بعد ضعف العقل بعد ضعف الإيمان قوةٌ تُرجى.

وأما كرمه ؛ فإنه ترجمان إيثاره ، وما عَمِرت البيوت بخُلقٍ كالإيثار ولا خَرِبت بخُلقٍ كالأَثَرة ، والكرم يستر كل سيئةٍ وإن جلَّت ، والبخل يهتك كل سيئةٍ وإن دقَّت.

وأما لينه ؛ فأصرح شواهد سلامته النفسية من الكلاكيع ، أن يلين للتي هي أقوم من الشرع أو العُرف إذا بُيِّن له من أوليائكِ أو منكِ ؛ هذا عطاءٌ بغير حسابٍ.

وأما إيمان المرأة بالحياء ؛ فأن يكون في قلبها عقيدةً ، تؤمن به إيمانًا ؛ تصديقًا بالقلب ، وإقرارًا باللسان ، وعملًا بالجوارح ؛ لا نُخَالَةَ خجلٍ مصنوعٍ رِئَاءَ الخاطبين.

وأما كفرها بالنسوية ؛ فالنسوية اليوم دينٌ ذو عقائد وشرائع وأخلاقٍ ، لا يوجد منه شيءٌ في امرأةٍ إلا أعدم مِثلَه من الإسلام ، والظافر بكافرةٍ به هو الناكح أنثى.

• متى يصدِّق الخاطب والمخطوبة ربهما -سبحانه- فيما ألزمهما به من حدودٍ في الخِطبة ؟!

الخِطبة وعدٌ مجرَّدٌ بالنكاح ، يجب الوفاء به من طرفيه إلا لعارضٍ ربانيٍّ أو بشريٍّ ؛ من العوارض الربانية فساد حال أحد المتواعدَين في عقيدةٍ أو عبادةٍ أو خلقٍ مع غلبة ظن الآخر أنه لا يُصلَح أو أنه يعجز عن إصلاحه ، ومن العوارض البشرية انقباض نفْس أحد المتواعدَين من الآخر بشيءٍ ظاهرٍ أو باطنٍ لا يجد حيلةً في دفعه ، فمن وقع له شيءٌ من ذلك جاز له نقض وعده لكن بجمالٍ وإحسانٍ.

الخِطبة خطوةٌ بين خطوتين ؛ خطوة البدء التي وقعت بها الخِطبة (سؤال كل طرفٍ عن الآخر وأهله وما يلزم للنكاح ، والرؤية الشرعية التي يجوز تكرارها ابتغاء التحقق والرضا) ، وخطوة العقد الذي أحبه للمرأة والرجل بين يدي بنائهما ، ولَحاجة المرأة إليه -هذا الزمانَ- أشدُّ لو كان أولياؤها يفقهون.

أباحت شريعة الرحمن -مبصرةً- وصال طرفي الخِطبة عند الحاجَة وبقدْرها ، الحاجة النظرية كالحاجة العملية ، لا وَكْسَ المضيقين حتى الجهالة بما تلزم معرفته للإكمال والإتمام ، ولا شَطَطَ المستوفين بها الدراية بكل شيءٍ على الكمال والتمام ، قد أفلح المقتصدون ، الذين هم بشِرعة ربهم مطمئنون.

أخي وأختي ؛ ما قُبض عنكما عاجلُ الوصال ؛ إلا بسطًا لكما في آجله ، يُقضِّي الغافلان الخِطبة في أحاديث الصبابة ونسج خيوط الغرام ، ثم يصيبهما داء "الخرس الزوجي" الذي تضج به بيوت الإسلام ، ويكأن من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه ، إلا من تابا وأصلحا فجبرُهما على الله.

يا أيها الذين رضوا العليم الخبير شارعًا ؛ إني رأيت أضيق الناس عند فسخ الخِطبة مآلًا من توسعوا فيها بغير رَشَدٍ حالًا ، فأما الملتزمون حدود الله فيها فيحسنون الخروج كما أحسنوا الدخول ، ووفاؤهم بعد فسخهم مبذولٌ موصولٌ ، يَفيضون على كل أحوالهم جمالًا ، وهم أصلح الناس في المخالقة بالًا.

قال قائلٌ: أفرأيت لو بدا لطرفٍ من الآخر بعد النكاح عيبٌ لا يطاق ؟ قلت: من لم ينفعه قبل النكاح ظنه لم تنفعه بعده عينه ، ومن طلب استيفاء النقائص لم يسعفه التوسع ، وإن من العيوب ما لا يُظهره إلا مكين القرب فحسبهما التحرِّي أول الأمر ، وكم عيبٍ أصلحه النكاح! وكل لبيبٍ بالإشارة يفهمُ.



العرس



• استحياء الزوجين في عُرسهم من أهليهم وأصحابهم إذا جاملوهم فيه بمنكرات الغناء والموسيقاء والتبرج ؛ بليَّةٌ في الدين ، وقعود المدعوِّين من الصالحين عن إنكار هذه المنكرات ؛ بليَّةٌ أخرى.

• هتجوز قريب ، وفرحي عادي ؛ الستات مع الرجالة ، وغُنا ومزيكا ، وواحد زميلي قال لي: حرام كده. ممكن تقول لي حرام ليه ؟ بس بالبلدي وبالهداوة.

قبل ما نتكلم بس ولأن الشرط خرط ولا خناقة عند الغيط ؛ انت أكيد مش بتتكلم في حكم تبرج عروستك في الفرح ، وان فيه كوافير هو اللي مظبطها قبل الفرح ، وألف راجل أجنبي عنها بيشاركك تفاصيل جسمها أثناء الفرح ، وآلاف هيتفرجوا على فيديوهاتكم تاني وتالت بعد الفرح ؛ لأن ميرضاش بكده غير ديوث أعزك الله ، ومتقولليش الدياثة الرضا بالفجور الكامل بيها ؛ لأن الدياثة زيها زي أي كبيرة في الأرض بتتجزأ عادي.

المهم حاضر يا قلب اخوك ؛ بالبلدي وبالهداوة ، وربنا يفتح لي ولِيك:

* احنا مكناش موجودين أصلًا ، ثم اتوجدنا.

"وكنتم أمواتا فأحياكم".

"هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا".

"أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا".

* اللي أوجدنا من العدم ربنا عز وجل ، وحده لا شريك له.

"الله الذي خلقكم".

"هل من خالق غير الله".

* محال يكون ربنا خلقنا بدون حكمة ، أي حد حكيم يتنزه عن العبث في أفعاله ؛ فإيه ظني وظنك بفعل أحكم الحكماء سبحانه وتعالى! وفي تصرف عظيم زي ده ؛ (إيجاد عدد لا يُحصى من الإنس والجن من أول الدنيا لآخرها ، مع كون ليهم إرادة في العبادة من عدمها كمان).

"أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا".

"أيحسب الإنسان أن يترك سدى".

* ربنا مخلقناش غير لحكمة ، والحكمة دي عبادته ، والعبادة هي السعادة والسعادة هي العبادة ، يعني اللي قال ربنا خلقنا للسعادة زي اللي قال ربنا خلقنا للعبادة ، وجودنا هنا هو فرصة السحب العظيمة على الجنة ، الخلود الأبدي في السعادة الأبدية والملذات السرمدية والرضوان الأكبر.

"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون".

"إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم".

* العبادة خضوع القلب لله ، اللي بالضرورة هيسلتزم طاعتنا المطلقة ليه.

* الإنسان روح وجسد.

- الجسد مخلوق من الأرض.

"منها خلقناكم".

- الروح من أمر الله.

"ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي".

الجسد مخلوق من الأرض ؛ فغذاؤه وكفايته منها ؛ المأكل والمشرب والمنكح والمرقد والملبس والمسكن والمركب ؛ كل ده منها.

الروح مخلوقة من أمر الله ؛ فغذاءها وكفايتها من السماء ، من الوحي ؛ الهدى والنور والشفاء والموعظة والروح والبيان والرحمة والبشرى.

الجسد عشان يعيش ؛ لازم الأكل والشرب والنوم والصحة والزواج ونحو ده ، فكل دي وسائل للعيشة ؛ لكن العيشة نفسها ليها غاية ، وغايتها العبادة.

مينفعش وسائل الغاية تتحول -بجهل الإنسان وظلمه- لغاية في نفسها.

يعني مينفعش الأكل والشرب والنوم والزواج وكل الوسائل دي ؛ تتحول لغاية.

الغاية اللي هي العبادة ؛ ربنا حدد لنا كل شيء فيها بعقائد وشرائع وآداب.

العقائد والشرائع والآداب دي لازم نتعلمها ، ولازم نعمل بيها.

كل التزام بيها هو تحقيق للغاية من وجودنا ، وكل تفريط فيها هو بُعد عن الغاية.

أنا عبد لربي ، ولربي بس ؛ فهو بس اللي يحدد لي أعمل إيه في كل شيء ومعملش إيه.

لما احب اتجوز مثلًا ؛ فمن أول خطوة في الزواج لآخر خطوة فيه لازم معرفة أحكام ربنا ، وإيه يرضيه فيه وإيه يسخطه ، هو أولى بالحرص على رضاه من حرص كل طرف من الزوجين على رضا التاني ، مع إن الحريصين على رضا بعض دول لسه بيتعرفوا على بعض ، وبيبدؤوا مع بعض ، ويا عالم هيحصل بينهم إيه بعد كل ده!

أد إيه بقى لازم يكون حرصي على رضوان ربي! وهو اللي منه ابتداء وجودي وإليه انتهاء مصيري ، وكل شيء بين وجودي وفنائي بإيده وحده.

كمان أنا بتجوز عشان غرض قلبي وغرض نفسي وغرض جسدي وغرض اجتماعي ، وكل ده مش في إيدي ولا إيد زوجتي عشان طول الوقت منراعيش غير بعض في الحصول عليه ، ده أصلًا كله بإيد ربنا وحده ، واحنا مجرد أسباب بشرية لتحقيقه من بعض ، يا صابت الأسباب يا خابت.

هل معقول أوصل للي عند ربنا من الخير اللي انا محتاجه جدًّا وفقير إليه جدًّا ؛ بإغضابه وبمعاصيه!

بقى منطقيًّا متصوَّر إني أستجدي خير بحبه من حد ؛ بفعل الشر اللي بيكرهه مني!

الأغاني والاختلاط والمنكرات (اللي ميختلفش عليها اتنين من المؤمنين اللي عارفين يعني إيه قرآن ويعني إيه سنة) ؛ أبدأ بيها حياتي اللي انا مش طالب فيها من ربنا غير السعادة! ولَّا السعادة دي بإيد حد غيره فعادي لو أسخطته هو!

"أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار".

ولّا انا مستغني عن حقيقة الزواج ، وعايز -بتكاليفه الرهيبة دي- الصورة بس!

هو انا عريس اللقطة ؛ زي البعيد ملعون مصر ما هو رئيس اللقطة!

اسمح لي بسطر واحد بالفصحى ، ومش فصحى أوي يعني:

معالمُ النهاية من مَشارف البداية ، ومن صحَّت بدايته سَلمت نهايته.

بنرجع بعد كده لما تحصل مشاكل في الحياة الزوجية -ربنا يعافينا ويسلمنا- نقول إيه أسبابها!

كإن ربنا ما عرَّفناش من البداية في كتابه ، والرسول -عليه الصلاة والسلام- في سنته ؛ بكل طريق من الاتنين ، وبيوصَّل لإيه في النهاية!

• في حياتي كلها ؛ كان حسبي لِأشهد عُرس القريب أو الصديق عِلمي أنه يحب شهودي ، دعاني أو لم يدعني إليه سواءٌ هذا في قلبي بحمد الرحمن ربي.

اليوم أقول للشاب يأبى شهودَ عُرس صديقه بل ذي الرحم منه: لم لا تشهد عُرسه! يقول: لم يدعني دعوةً خاصةً ، بل جعلني فيمن دعاهم دعوةً عامةً.

الآن آن أوانُ اعتذاري إلى سُمُوِّ جناب حضرة جلالة فخامة سيادة سعادة قداسة نيافة فضيلة نفسي ؛ على سوابق مرمطتي معاليها في أربعين سنةً وزيادةً.

كيف كنت أرضى لنفسي شهود أعراس أحبتي ؛ بلا دعوةٍ خاصةٍ أو عامةٍ! ألم يكن خليقًا بذاتي المشرَّفة أن أصونها عن مشابهة الدَّهماء السُّوقة الهَمَج الرِّعاع الغوغاء الأوباش النُّخالة الحُثالة الحُسالة العُفاشة الأنذال الأرذال الصَّعاليك!

اطَّرِحوا جِدِّي وهزلي جانبًا ، واتَّخِذوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صاحبًا.

لقي النبيُّ -صلى الله عليه- عبدَ الرحمن بن عوفٍ -رضي الله عنه- بعد الهجرة وعليه أثرُ صُفرةٍ ، فسأله -بمعهود رأفته ، ومألوف رحمته- عنها ، فقال: إني تزوجت يا رسول الله ، فقال له الرسول عليه السلام: "بارك الله لك ، أَوْلِم ولو بشاةٍ".

هذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعظمُ من صُحِب ، وأولئك أصحابه - رضي الله عنهم- أوفى من صَحِبوا ؛ لا يُعْلِمه صاحبه بموعد زواجه ، وإنه لغريبٌ -معه- عن دياره ؛ فإنه كان من المهاجرين.

ما انقضى قطُّ من هذا الحديث عجبي! وكم قلت لإخواني: لئن لم يحتجْ عبدُ الرحمن في زواجه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- رسولًا يُبَصِّره ويهديه ؛ فإنه محتاجٌ إليه فيه إنسانًا يُعَلِّمه ويُرَقِّيه!

ذلك كله وسواه ؛ ولم يُعْلِم عبدُ الرحمن ونفرٌ سواه من الصحابة كما في أحاديث أخرى ؛ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- بمواعيد زواجهم ، وما عتب عليهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- قطُّ ، بل كان يدعو لهم بالبركة ، ثم يُكْمل عطفه عليهم ويُتِم إحسانه إليهم بجليل الوصايا.

اليوم كم رحمٍ قُطِعت أوصالُها ، وعلاقةٍ فُصِمت عُراها ؛ بداء الكِبْر الذي لا أَجْنى على أهله منه ، أو بتشوُّهاتٍ دميمةٍ موروثةٍ من الآباء والأمهات يؤسِّسون لها في أبنية أبنائهم النفسية بقصدٍ أو بغير قصدٍ ، أو بتنشئة المجتمع الإنسانَ على الدَّوران في فَلَك ذاته لا يبرحُها إلا لجَلْب منفعةٍ لها أو دَفْع مضرَّةٍ عنها ، أو بعَوَر التصنيف وحَوَل التصريف! ومعنى عَوَر التصنيف: وضعُ الإنسان فلانًا من الناس في عقله أو قلبه موضعَ غيره ، كأن يُصنِّف الصديقَ أو ذا الرحم زوجًا له عليها من الحقوق كذا وكذا ، أو ولدًا له يجب عليه شديدُ الاعتناء به وعظيمُ الرعاية له ، فإذا صُنِّف هؤلاء في عقله كذلك بغير وعيٍ منه كثيرًا أو بوعيٍ قليلًا ؛ ترتَّب عليه حَوَل التصريف ، ومعناه: تَسْيِيل العاطفة الخاصة بالزوج أو الولد في الصديق أو ذي الرحم ، ثم الحُكم عليهما ومحاسبتهما على هذا الأساس ، ولو كان أُولاء المبتلَون بعَوَر التصنيف وحَوَل التصريف صِحاح النفوس ثِقال العقول ؛ ما طلبوا ما يفقدون من العواطف ممن يجدون من الناس لمجرَّد التوفُّر في الحياة.

ألا إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الإنسان القِياسِيُّ وحده ؛ أي الذي يُقاس عليه كل أحدٍ في كل شيءٍ ؛ في الاعتقاد وفي التنسُّك وفي المعاملة ، فحقيقة صِلته أرحامَه وأُخوَّته أصحابَه ومُخالقته سائرَ الناس ؛ هي الحقيقة

المُلزمة وحدها للناس كلهم ، لا تَزَيُّد عليها مثقالَ ذرةٍ طرفةَ عينٍ ، وما لم يكن من معاملته أهلَه وأصحابَه وسواهم -يومئذٍ- شيئًا ؛ فلا يكون إلى القيامة شيئًا.

إن الذين يتعبدون لربهم في جميع معاملاتهم ؛ هم الذين يحرصون على قبول الله إياها منهم ، وإن شَرْطَي قبول الله كل عبادةٍ من أهلها ؛ إخلاصُها لوجهه الأعلى ، واتباعُ رسوله -صلى الله عليه وسلم- فيها ، ولا يكون ذلك إلا بحُسن التفقه في الدين ، وتزكية النفس من شُحِّها وأدوائها ، واستدبار كل عُرفٍ شائهٍ ذميمٍ.

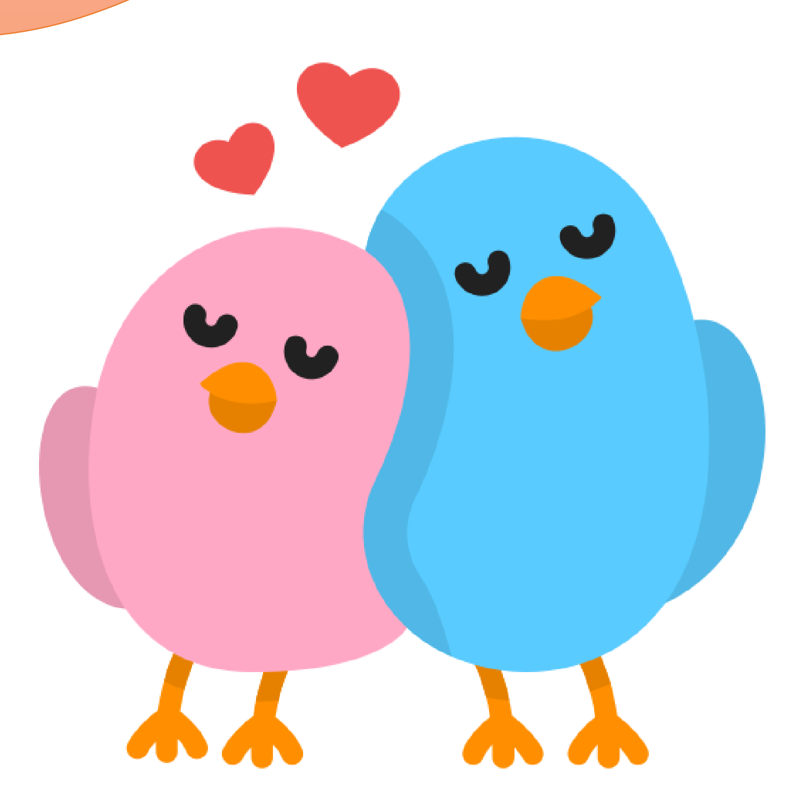
- دعاء قلبي ربي –علا وتعالى– لكل زوجين مؤمنين؛ بين يدي عرسهما :

جعل الله زواجكما مبتدأ حياةٍ طيبةٍ، وخبر عيشةٍ راضيةٍ، وفعلًا إلى العفة رافعًا، وفاعلًا من الفتنة مانعًا، ومفعولًا من الرحمن حميدًا، يتم جملة الهناء مزيدًا، ووهبكما به ذريةً طيبةً محمودةً، وآتاكما منه كل فضيلةٍ موعودةٍ؛ حتى تنعما بمغانمه، ولا تبأسا بمغارمه،

وأبهجكما ببركاته دنيا وآخرةً، وأنالكما خيراته مننًا وافرةً، وجعله للمؤمنين نصرةً لا خُسرةً، ووقاكما فيه ضراء العين والأذى، ووصلكما من نعمائه بكذا وكذا، وأصلح بهداه بالكما، وبتقواه حالكما، وبرضاه مآلكما، وعمَر قلبيكما مودةً ورحمةً، وأثابكما -في الرضا والغضب- إلى دينٍ وعقلٍ ومروءةٍ، وأفاض على بيتكما من نوره المبين، وأسسه على تقوى منه ورضوانٍ؛ يستر باحته بستره الجميل، ويظل ساحته بظله الظليل، ويملأ جوانبه بذكره وشكره وحسن عبادته، ويجعل حجراته للمؤمنين قبلةً، ويهيء به للدين رفعةً ورشدًا، وأرضى كلًّا بكلٍّ في عافيةٍ، وشملكما بمغفرةٍ من لدنه وافيةٍ، وجبر بينكما كسورًا تعرفونها، ووارى بينكما عوراتٍ تحذرونها، وغفر لكما سوالف آثامٍ توجب الحرمان، ووصل غرفكما -على محبته- بغرف الجِنان؛ له الحمد أحدًا، وعليه الثناء صمدًا، ليس له صاحبةٌ ولا ولدٌ، ولم يكن له كفوًا أحد.



معجزة المودة والرحمة





• لوددت أني أعلقها -هديةً عن الرحمن- في بيت كل زوجين.

عسى أن يَحْدُوَ تَحْنَانُ مبانيها ؛ إلى حياة معانيها ؛ في رياض مغانيها.

جَعْلٌ هي المودةُ والرحمةُ بين الأزواج ، وفي غيره -وإن عَسِلَتْ- مِلْحٌ أُجَاجٌ.

• "وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً".

هذا الجَعْلُ من الله ؛ سرٌّ عظيمٌ من أسراره.

من وَلَجَ مشكلات الأزواج ؛ أظهره الله على شيءٍ منه.

كم قلت: "انتهى" في خصامٍ اشتعل! فأدهشتني من الله "وَجَعَلَ".

صُبَّ اللهم على بيوت عبادك من إسعادك صبًّا ، واملأها حنانًا من لدنك وحبًّا.

• لم يختم العليم الحكيم -علا وتعالى- آية الزواج بهذه الخاتمة الحسنى عبثًا ؛ "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوآ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ".

لا بد بين الزوجين من تعقلٍ وتفكرٍ ؛ لا تستقيم الحياة إلا بنصيبٍ منه وافٍ ، ولا تسكن البيوت إلا بحظٍّ منه كافٍ ، وبقدر أخذهما بأسبابه متوافقين يكون رشدهما وسعدهما مختلفين ، وهما إلى بعضه أحوج منهما إلى كثيرٍ من المودة والرحمة ، مع ما للمودة والرحمة -بينهما- من الخير الأساس العظيم.

ولقد رأيت في حياتي بيوتًا باتت على شفا جرفٍ هارٍ ؛ فأصبحت ببركة الله في عقول أهلها راضيةً مرضيةً ، ورأيت أزواجًا كانوا من أوفى الناس رزقًا من الحب ؛ قد خربت بيوتهم بضعف عقولهم.

لبنة إيمانٍ ، ولبنة مودةٍ ، ولبنة رحمةٍ ، ولبنة إحسانٍ ، ولبنة عقلٍ ؛ هي بنيان بيوت أهل الجنة الطيبين.

• ماتت امرأةٌ كبيرةٌ كانت تسكن قريبًا منا ، وكان بينها وبين زوجها -بجمال الله- ما ليس بين زوجين من المودة والرحمة ، فالتاع قلب زوجها عليها ، وجعل يكلمها وهي ميتةٌ يقول لها: مش اتفقنا نعيش مع بعض ونموت مع بعض ؟ سبتيني ليه ؟ فوالله الذي لا أطيب منه ولا أبر ؛ لقد مات ليلتها بجلطةٍ أو نحوها ، ودُفنا في وقتٍ واحدٍ. ويكأن الله قال لهما: لا تكونان أحفظ للعهد مني ؛ أنا أولى بالبر وأوفى.



واقعية الزواج



• يخفق في الزواج كثيرًا من يرجون به كل ما يفتقرون إليه.

أولئك الطيبون الذين يظنونه -رجاءً- منتهى كل ألمٍ ، ومشتهى كل أملٍ.

يحملهم على هذا الظن -غالبًا- ما هم فيه من سوء الحال ؛ في أنفسهم وفي أهليهم.

ثم يفتنهم مزيدًا ما ابتلينا به فيه -آناء الليل وأطراف النهار- من زائف الكلام وبهرج الصور.

يا أيها الذين آمنوا ؛ إن الزواج -بما قضى الله فيه من إعفاف حِسٍّ وإيلاف نفسٍ- سكنٌ ومودةٌ ورحمةٌ ، وإن أطيب الناس منه رزقًا أوفاهم من هذه الثلاث حظًّا.

لكنَّ العليم الحكيم -الذي وضع الميزان- جعل في غير الزواج قضاء غير هذه الحاجات ؛ فجعل طمأنينة القلوب في الذكر ، وصلاح البال في الجهاد ، وقرة العيون في الصلاة ، وراحة الأرواح في الأنس بربها ، وطيب العيش في بر الناس والإحسان إليهم ، وشفاء العقل في العلم تفكرًا وتدبرًا ، وجُمَلًا من مراضي النفس ومباهجها في جُمَلٍ أخرى من العبادات والمعاملات.

وزواج البررة الصالحين وإن كان معينًا -بوجهٍ من الوجوه- على هذا كله بحمد الله ؛ إلا أنه لا يعين عليه من وجوهٍ أخرى بحكمة الله ؛ بل الحق أنه ينقص منه ويصرف عنه.

فأنى يُلتمس بالزواج -استقلالًا- كلُّ ذلك ؛ كما هو ظن العامة ؟!

هذا شديد العاطفة من الزوجين ؛ إذا ابتغى رواء غُلَّته وشفاء علَّته وسَدَّ خَلَّته بصاحبه وحده ، قصرًا عليه من دون الناس (والدَين وأبناءً وأرحامًا وجيرانًا وأصحابًا وغيرهم) ؛ لم تُرْوَ غُلَّته ولم تُشْفَ علَّته ولم تُسَدَّ خَلَّته ؛ بل ربما شقي بزواجه -على هذا النحو- وأشقى صاحبه.

فارجوا الله بالزواج ما أودع قدَرًا ؛ "قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا".

• نحن حين نتزوج لا نتزوج في الجنة (دار السلام) ؛ تلك التي سلَّمها الله من كل آفةٍ ونقصٍ وسوءٍ وكدرٍ ، إنما زواجنا هنا في الحياة الدنيا ؛ هذه الدار المطبوعة على الأوصاب والأشجان ، ونحن العباد المجبولون على الجهل والظلم ، ولكن:

ما استطاع الزوجان إلى حل مشكلاتهما في "عش الزوجية" سبيلًا ؛ فلا ينبغي لهما تجاوزُه إلى غيره ، ذلك أَصْوَنُ لهما عن فساد البال وخراب الحال ، وأَعْوَنُ لهما على عمارة الحب واستدامة القرب ، فإن غَلب على ظنَّيهما أنهما لا يستطيعان هذا بأدواتهما النابتة التي لم تنضج بعد ؛ فحَكَمٌ من أهله وحَكَمٌ من أهلها من معمِّري البيوت أُولي الرحمة والرَّشد ، فإن عُدم الأقربون حقيقةً أو حُكمًا ؛ فليلتمسا فاضلًا موثوقًا بدينه وأمانته ممن بسط الله لهم في حكمةٍ وتحنانٍ ، ذلك ؛ وليُراجعا ما بينهما وبين الله الذي سترهما بالوصال وجبرهما ؛ فحقُّه الشكر بإحسان العبادة لا بالغفلة عنها والتفريط فيها ، وليتذاكرا كل ما أودع الله بينهما من (سكنٍ ومودةٍ ورحمةٍ) متوادَّين ذَوَيْ مروءةٍ ونُبلٍ ووفاءٍ وشُكرانٍ ، وليتعوَّذا بالله من أربعٍ تعوُّذ الخائفِين المفتقرِين ؛ من شياطين الجن فإنهم من خلف كل شرٍّ وشررٍ ، ومن شُحِّ

نفسَيهما قد أفلح من وُقِي ، ومن سيئات أعمالهما فإنها موجبات حرمان السكينة والخذلان بالتقلقل ، ومن شياطين الإنس ولو كانوا آباءهم وأمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم ، وليتبصَّرا عواقب الأَثَرة والكِبْر في معاشهما ومعادهما عسى إن لم تزجرهما التقوى ردَعهما العقل ، وليلهجا بدعاء الله بأسمائه الحسنى ؛ (الودود والرؤوف والرحيم والبر والجبار والكريم والوهاب والعزيز والحكيم والجميل والقدوس والغفور والفتاح واللطيف والحي والقيوم والمقيت والواسع والصمد والمتين والعلي والكبير والوكيل)، دعاءَ تدبرٍ وصدقٍ واضطرارٍ ، وختمة قرآنٍ يبتغيان بها وجه الله في صلاح فاسدٍ وجبر مكسورٍ ولَمِّ شَعَثٍ ، فإن اجتمعا عليها فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذان اللذان اجتباهما الله وهذان من أولي الألباب ، فإن ضعُفا دون الختمة -وبئس ضعفًا- فسورة البقرة ؛ "أخذُها بركةٌ ، وتركُها حسرةٌ ، ولا تستطيعها البَطَلَة" ، وليذكرا حاجة الإسلام والمسلمين إلى بيتهما ما أجلَّ هذا المعنى وأوجَعَه! وبالرحمن كفاية كل جميلٍ.

• أن يكون الرجل لزوجه أبًا حيث تفتقر إلى ذلك ؛ فاللهمَّ نعم ، وأن تكون المرأة لزوجها أمًّا حيث يفتقر إلى ذلك ؛ فاللهمَّ نعم ، أما إجهاد أحدهما الآخر بهذا عامة الحياة -فتتعطل معاني الزوجية- فاللهمَّ لا.

• "الجواز مش جمعية ممكن كل طرف فيه يدخلها بنفرين".

ذلك ما يخطر على بالي ويقوله لساني لرجلٍ يُدخل أمه أو أخته في شؤون امرأته وبيته مزيدًا على ما يليق بهما ، فإن عوتب في هذا ؛ قال: أمي التي زوجتني ، هذه أختي وطبعها ، لا أستطيع لهما دفعًا.

أو كامرأةٍ تَدخل في الزواج بأمها أو أختها أو أخيها أو بهم جميعًا ، فإن عاتبها زوجها ؛ كانت إحدى امرأتين ؛ امرأةٍ واعيةٍ فعلَها قاصدةٍ له ، تراه بما تربَّت عليه شيئًا حَسنًا ، أو امرأةٍ مغلوبةٍ على أمرها ، لا طاقة لها بدفع أهلها عن حياتها ، وهي بينهم وبين زوجها حائرةٌ ؛ على زوج مثل هذه الرفقُ بها.

أنا لا أجرّدِ الآباء والأهلين من حقهم في إتمام وصال أبنائهم وبناتهم بعد زواجهم ، لكن بلطفٍ وافٍ يناسب حالًا جديدةً في بيتٍ جديدٍ مع طرفٍ جديدٍ ؛ وكم دمرت بيوتَ المسلمين العواطفُ الهوجاء!

مفتاح باب البيت ، مفاتيح الغرف لا سيما غرفة النوم ، مفاتيح الدواليب والأدراج ؛ كل ذلك مما لا يمكَّن منه والدان وإخوةٌ لا يرشدون وإن سخطوا ، فأما الراشدون فمرحبًا على حبٍّ من الزوجين واختيارٍ.

لئن عجبت من رجلٍ وامرأةٍ يقترفان هذا البغي حُدثاء عهدٍ بالزواج ؛ فإن عجبي لا ينقضي من والدٍ ووالدةٍ يقترفانه وقد ذاقا مرارته قِدَمًا وأوجَعهما ؛ كل ذلك راجعٌ إلى خلقٍ دميمٍ واحدٍ هو "الأثرة".

بين العَشَم والغَشَم نقطة ؛ إني لأُعظِّم رجلًا عقد قلبه قبل زواجه على صورة وصالٍ واحدةٍ مُثلى في بيته الذي يؤسس ، صورةٍ تجمعه وامرأته وأهله وأهلها وذريتهما على جميع طيبات الدين والدنيا ، لا انفكاك بين اثنين ولا معنيين

ولا شيئين فيها ؛ تلك صورةٌ قد تزهو حُسنًا في بعض الأذهان ، لكنها في غير جوِّ الخيال محالةٌ في العَيَان ، فمن ابتغى كمالها المعقول في الدنيا فإياه والغَشَم!

وعليه بالتدرج في معارج الوصال بحكمةٍ وتؤدةٍ ، وليترك للحياة فرصتها في امتحان الناس -فيما بينهم- نفوسًا وأخلاقًا ، وليؤمن في كل ذلك بالقضاء والقدر ، وأن ما شاء الله من قربٍ على حبٍّ كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وكم أحب العبد ما هو شرٌّ له! فإن أدى ما عليه في التحبيب والتقريب ؛ فليرضَ بما قسم الله له ، وكم في البعد الجزئي من خيرٍ كليٍّ لمن تبصر! وكم وصل الله بالقطع النسبي الواعي كثيرًا! والله عليمٌ حكيمٌ.

"لم لا تكون لأهلي ؛ كما أنا لأهلك ؟! يا حبيبة قلبي ؛ أهلي غير أهلك" ؛ إن التباين الذي خلقه البارئ المصور بين عباده في نفوسهم وأخلاقهم ؛ أشدُّ وأوسعُ منه في أجسادهم وصورهم ؛ لو كانوا يفقهون.

يا معشر الأزواج ؛ جُدُّوا في بر آبائكم والأمهات ، واستبقوا فيه بعد الزواج الخيرات ، أما الاشتراكية في إدارة البيوت التي يتعاطاها بعضكم طوعًا وبعضكم كَرهًا ؛ فاللهم لا ؛ "وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ".

هذا حرفٌ قد يضيّق بعض صور المخالطة الظاهرة ، لكنه يوسع في حقائق المودة الباطنة ؛ بما يحفظ من مسافاتٍ بين أُناسٍ لمَّا يتعارفوا حق التعارف ، فإن تعارفوا بأناةٍ طاب على الحب الوصال.

• لا تكلِّفوا من تحبون كلَّ ما تحبون.

عامتنا يحب بعد جوعٍ قلبيٍّ شديدٍ ، وصبرٍ على الظمأ مديدٍ ، فإذا أحب أسرف في الإقبال ، وأسرف في الرغبة ، وأسرف في الرجاء ، فيكلف محبوبه كل مشتهيات الحب ؛ عاجلةً غيرَ آجلةٍ ، مجموعةً غيرَ مفرَّقةٍ ، تامةً غيرَ منقوصةٍ ، بلسان مقاله حينًا ، وبلسان حاله أحيانًا ، وهو بلاءٌ خفيٌّ واسعٌ مكينٌ.

يُعظِّم هذا البلاء أمران ؛ وقوعه من صاحبه -أكثرَ الأحوال- بغير وعيٍ به وقصدٍ له ؛ فأنَّى يعافى منه ؟! الثاني: أن المسرف يغلِّف سَرَفَه بغلاف الحب (تفسيرًا وتبريرًا) ، والاحتيال بالحب آسِرٌ أخَّاذٌ.

يزيد داءَ المحبوب علةً قبولُه السرفَ بل استمتاعه به أولَ الأمر ؛ لحاجته إلى الحب وافتقاره إلى آثاره ، ويزداد طينُ المحب بلةً إذا كان خفيف الديانة والعقل والمروءة جميعًا ، ولو ثقُل لكان خفيفًا لطيفًا.

يا رِفاق الأفئدة والأكباد ؛ إن الحب قوتٌ ؛ يشبه سائر الأقوات في معانٍ ، ويباينها في أخرى ، وإن له فقهًا ؛ منكم من يكتسبه ، ومنكم من يُلهَمه إلهامًا ، "نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم" ، "وكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا".

• ترجو من محبوبك في "الحب" ؛ ما لا تبذل معشاره لله!

تحاسبه إذا فرَّط في حقك ؛ وأنت واسع التفريط بحق الله!

تؤنبه على لهوه إذ تحدثه ؛ وأنت كثير السهو بين يدي الله!

تعتب عليه ضعف وصاله ؛ وأنت شديد التفريط في الصلاة!

تؤاخذه على قليل ذكره لك ؛ وأنت قليل تلاوة القرآن وذكر الله!

تعذله إذا آثر عليك خيرًا منك ؛ وأنت تؤثر ما دون الله على الله!

تغار عليه أن يخطر على باله غيرك ؛ وقد حُشي قلبك بمكاره الله!

تلْحَاه إذا أرضى غيرك بإسخاطك ؛ وأنت تسخط الله بإرضاء سواه!

تعنفه إذا لم يغضب لغضبك ؛ وأنت تهشُّ في وجوه من يغضبون الله!

تلومه إذا لم يصالحك بعد جفائه ؛ وأنت لا تؤوب بعد معصيتك إلى الله!

تثرِّب عليه إذ لا يسارع في هواك ؛ وأنت تقوم كسلان ثقيلًا إلى عبادة الله!

تأسى على نكرانه جميلَك ؛ وأنت غافلٌ عن شكر آلاءَ لا يحصيها فيك إلا الله!

ترى كل ذلك حقًّا لك بجميل مودتك له وجزيل برِّك به ؛ ولا تؤديه حقًّا عليك لله!

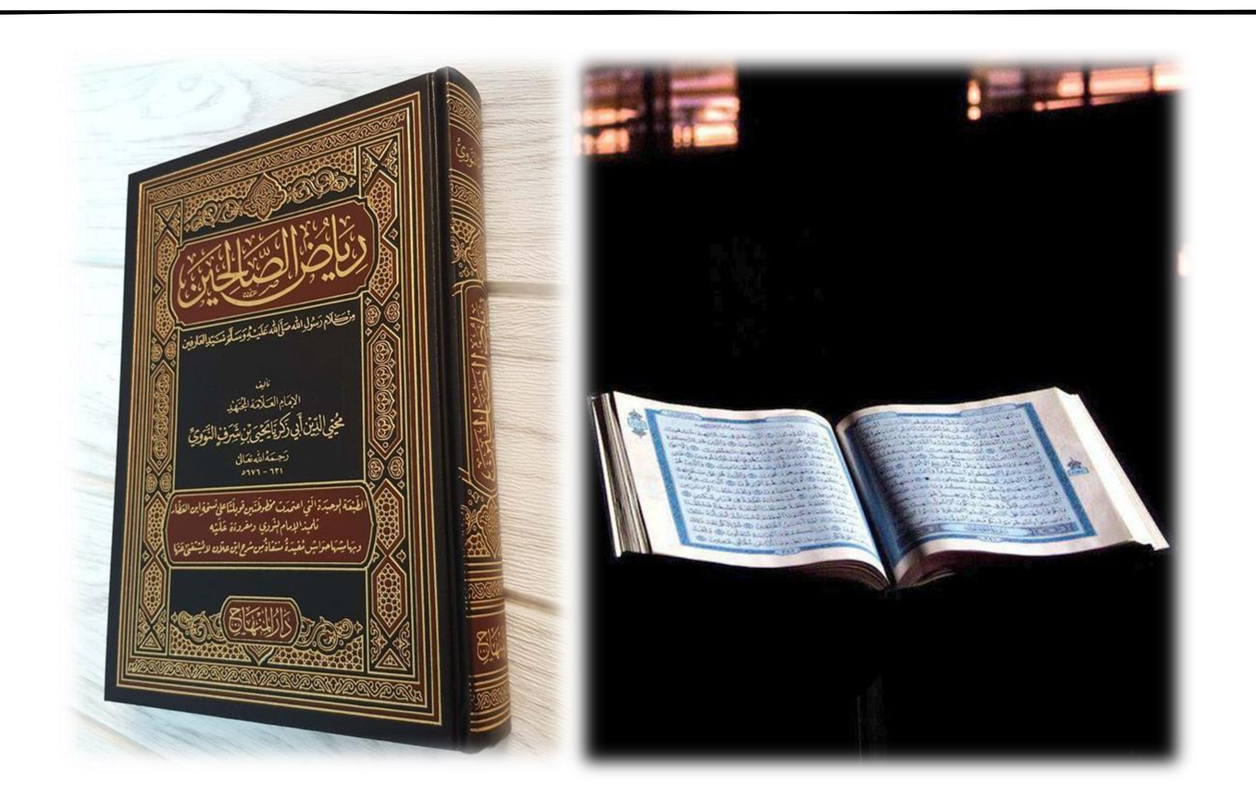
أنت لم تخلق محبوبك ولا أنت رازقه ؛ وخالقك ورازقك ومولى كل نعماءَ فيك "الله".

"اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا أعلمه ، وأستغفرك لما لا أعلمه" ؛ لا إله إلا أنت.



بركة الوحي





- زاحموا جفاف البيوت بنداوة الوحي ، أحيوها بروح الله الذي لا تحيا إلا به.

سماع القرآن في بيوتنا -مهما يكن شغلنا- بركةٌ علينا.

جبر الله حياةً كانت تلاوته تملؤنا بها ؛ على كل أحوالنا ، وجميع أحياننا.

لازم ورد من السنة يوميًّا زي ورد القرآن ؛ أيسر حق نبينا علينا.

كلَّ يومٍ كلَّ يومٍ ؛ جزءٌ يسيرٌ من "رياض الصالحين" ، وابدؤوا بفهرسه.

- سماع القرآن في بيوتنا -مهما يكن شغلنا- بركةٌ علينا.

جبر الله حياةً كانت تلاوته تملؤنا بها ؛ على كل أحوالنا ، وجميع أحياننا.

• من دنا نكاحه فليُجوِّد قلبُه توبةً عامة من ذنوبه كلها وتوبةً خاصةً مما يذكر من آحادها ، وليكثر من الاستغفار إكثارًا ؛ فإن موجبات الحرمان من خيرات النكاح والخذلان بشروره هي سوالف الآثام ، وماذا عليه لو ختم كتاب الله تلاوةً وتدبرًا بين يدي قِرانه ؟!

إذن يستمنح الأحد الصمد مواهب آياته الحسان في النكاح ، ويستفتح مبتغاه السعيد بأعظم أسباب المودة والرحمة والفلاح ، وله في كنز "لا حول ولا قوة إلا بالله" إن لهج به مغانم كثيرةٌ تناله طيبة باردةً ، وفي صلاته على النبي تبرُّد نفسه من هجير العنت وإنعاش روحه من هموم الغفلة ، وليطيِّب نياته في النكاح ويبسط فيها ما شاء فإن الله واسعٌ وكريمٌ ، وليحسن الظن بمولاه أنه يجبره بأهله ويستره ، وربنا الله عند الظن به ، وكلما كان أفقر إلى الله في أمره كان برحمته وبركاته أغنى ، وليعظِّم في نفسه الشعور بهموم الإسلام وجراحات بنيه ؛ عسى الله أن يخرج من صلبه من يكشف ويثأر ، وإن أهنأ الناكحين من العيشة رضًا أوفاهم بآلاء الله تصديقًا.

• في حجرة نومه الهانئة ؛ كان أحمد يتلو سورة النساء ، يُطبِّب بأَشْفِية القرآن أدواء نفسه وزوجه سمية ، حتى إذا بلغ منها قول ربه سبحانه: "وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا" ؛ سألته سمية باسمةً مستبشرةً: حدثني حبيبي عن اسم ربي المقيت ، فكأني أسمعه أول مرةٍ ، مسح أحمد على رأسها بيمينه ، وأدنى جبينها من وجهه ، وقبَّلها بين عينيها قبلة حفاوةٍ

وإكبارٍ ، ثم رفع رأسه إلى سقف الحجرة مغتبطًا راضيًا وقال: المحمود الله -يا سميتي- بما قسَم لي من كريم إيمانك ، وأُثني عليه بما وصلني به من ودِّك وقربك وإحسانك ، لقد سألت حبيبتي عن عظيمٍ لا أعظم منه ، وإنك لأَولى بالامتلاء من عرفان الخير مني ألف مرةٍ ، فإنك أوصل بذريتنا وأقرب ، وإنه لا يفيض عنا إلا ما تمكن منا ، وإني لأرجو الله أن يمكن منك العلم بصفاته وآياته وأحكامه ، فتفيضين على أبنائنا من كل ما حشاك به فيضًا جميلًا جزيلًا.

حليلتي ؛ المقيت هو الذي يقوت خلقه أجمعين (فيما ظهر منهم وما بطن) بأقوات الربوبية ، ويقوت المؤمنين (في قلوبهم وأعمالهم) بأقوات الألوهية ، يبسط في نوعَي الأقوات ويقبض بعلمٍ وحُسبانٍ وجَمعيةٍ ، ويختار لكل شيءٍ (من خلقه وأمره) ميقاته الزماني والمكاني بحكمةٍ عليةٍ ؛ علا الله وتعالى.

قالت سمية وقد ألقت برأسها بين كفيه: زدني بيانًا -يا صاحبي- زادك الله إيمانًا ورحمةً ورشدًا.

قال أحمد: الرب هو الإله حليلتي ؛ الربوبية أعم والألوهية أعظم ، الرب خالق الخلق جميعًا ومدبر أمورهم باطنةً وظاهرةً ، والإله هو مألوه المؤمنين (معبودهم) الذي يتألهونه حبًّا وخوفًا وطمعًا.

إذا اعتقدت ذلك كذلك ؛ فللربوبية عطاءاتٌ وللألوهية عطاءاتٌ ، عطاءات الربوبية للخلق جميعًا ، من أزله إلى أبده ، أصغر ذرةٍ فما دونها إلى أكبر مجرةٍ فما فوقها ما عقل من ذلك وما لم يعقل ، وعطاءات

الألوهية للمسلمين لله -من دون العالمين- تباركت أحديته ؛ أرأيت سعة الربوبية وجلال الألوهية ؟!

لسان أحمد يسكب المعاني وعينا سمية تجودان بالدمع ، لم يزل الحديث عن الله أخَّاذًا بفؤاديهما -من قديمٍ- ليس كمثله في حياتهما حديثٌ ، قالت المحبة ربَّها: ابسط لي مزيدًا أحمدي ؛ بسط المنان لك.

قال أحمد الهدى والندى: يا سمية ؛ بأن الله مقيتٌ أوجد خلقه جميعًا ، وبأنه مقيتٌ يمدُّ كل شيءٍ فيهم بأقواته الخاصة ، تلك الأقوات التي يكون بها محياهم ومماتهم وبعثُ ما شاء الله منهم ، يقبض الله منها ويبسط خبيرًا حسيبًا ، فما بسط له من الخلق في الأقوات قوَّاه بها وأبقاه ، وما قبض عنه أضعفه أو أفناه ، كل ذلك في الدنيا والآخرة ، وبأن الله مقيتٌ يقوت من آمن به بأقوات الإيمان النظرية (العبادات الباطنة) والعملية (العبادات الظاهرة) ، فيبسط ويقبض في الحب والخوف والرجاء وما إلى ذلك من منازل القلوب ، ويبسط ويقبض في الصلاة والجهاد والبر وما إلى ذلك من طاعات الجوارح ، وبأن الله مقيتٌ يختار لكل شيءٍ من خلقه وأمره (شرعه) ميقاته الزماني والمكاني عليمًا حكيمًا ، فإن لكل شيءٍ من الخلق والأمر زمانًا ومكانًا ، في السماوات والأرض وفيما بينهما ؛ تبارك الله مدبرًا محيطًا مقتدرًا.

قالت سمية: عرَّفك الله وعرَّف لك حبيبي ، قال أحمد: قد عرفت الأولى فما "عرَّف لك"؟ قالت: ألم تسمع قول الله جلَّ وعزَّ: "سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ"؟ فإن مجاهدًا صاحب عبد الله بن عباسٍ -رضي الله عنهم أجمعين- قال فيها: "يهتدي أهل الجنة إلى

بيوتهم ومساكنهم ، وحيث قسَم الله لهم ، لا يخطئون ، كأنهم سكانها منذ خُلقوا ، لا يستدلون عليها أحدًا" ؛ هَمَلَتْ مقلتا أحمد بدمعٍ منهمرٍ ، قال: وإياك حبيبتي في فردوسها الأعلى ، لا أغلى منك ولا أحلى ؛ جعل الله "القرآن" رحمًا بيننا أبدًا.

لَمَى وحمزة ولداهما يطرقان باب حجرة النوم طرقًا عنيفًا: "يا بابا .. يا ماما" ، يشكو كلٌّ منهما أخاه ، فتحت سمية الباب هرولةً ، فإذا حمزة آخذٌ بشعر لَمَى يجرها إليه ، ولَمَى تبكي حاضنةً لعبتها ناشبةً فيها أظفارها ، التقطهما أحمد من الأرض جميعًا -كأنهما قطعةٌ واحدةٌ- وكوَّرهما في السرير يقبِّلهما ويزغزغهما حتى نسيا شأنهما يقهقهان من ملاعبة أبيهما ، التفت إلى سمية فإذا هي تضحك مسبحةً بحمد ربها ، قال أحمد: الله الله! كأن الله -يا جميلة- إذ بصَّرنا باسمه المقيت معنىً ؛ أبى إلا أن نشهده حقيقةً ، ألا إن لَمَى وحمزة وما فعلاه من أقوات الربوبية ، وإن تسبيحك بحمد الله بعدما كان من حديثٍ عنه -سبحانه- من أقوات الألوهية ؛ نبوء لك اللهم بجميع أقواتك ، ونستعين بها على مرضاتك ، تقول سمية مثل قوله ، ثم تذهب إلى المطبخ تعد لزوجها وولديها من أقوات الربوبية عَشاءً شهيًّا.



آداب البيوت



• إن من أدبك في نفسك وأمانتك إلى الناس وتقواك لله ، إذا عبثت بأنفك أو ما يُستقبح في جسدك ، وأنت خالٍ لا يراك أحدٌ ؛ أن تغسل يدك التي عبثت بها قبل أن تمسَّ الناس والأشياء ، وإذا كان شعرك غزير الدُّهن فلا تحُكَّه ثم تشُمَّ يدك ، وأشنع من هذا أن تحُكَّ ما خفي من جسدك ثم تفعل ذلك ، ولا أفظع من اقترافه بحضرة الناس تحسبهم لا يرونك ، ولا تُخَلِّل أسنانك ولا تُنَقِّ أنفك وأذنك ولا تُقَلِّم أظفارك وإلى جوارك أحدٌ ، ومن اضطر إلى بصقٍ أو تمخُّطٍ -وهو يأكل مع إنسانٍ- فليُكثِّر مناديله ، ولا تُقبِّل زوجك بعد صحوك من قبل إجراء ريقك بماءٍ باردٍ ، وإذا صافحت صديقًا أول النهار فلا تُقبِّله إلا أن تكون متمضمضًا ، ومن كان مبتلًى بالبَخْر -وهو سوء رائحة الفم ، ويكون بأسباب فمويةٍ أو مَعِديةٍ أو غيرها ، كما يكون من طول الصمت وإغلاق الفم- فليَحترز من هذا مزيدًا حتى يشفيه الله برحمته ، ولا تُدْنِ أنفك من إبطك تشمَّه والناس شهودٌ ، ومن أُصيب بالشخير في نومه فلينظر أسبابه عند طبيبٍ حاذقٍ وليستعن بالله عليه ، فلعله بعِزَّة الله أن يعافى ، ولا تتجشَّأ بعد فراغك من طعامك والناس سَمَعَةٌ فإنه قذَرٌ شديدٌ ، وأخبث من هذا من لا يبالي بإخراج الريح بين أهله ، ومن ابتُلي بالقولون فليجتنب مُهَيِّجاته من الطعام والشراب ، وما كرهت أن يراه الناس منك أو يسمعوه فاجتنبه -خاليًا- إن كان مما يُجتنب ، ومن اعتلَّ بجريان ريقه -وهو نائمٌ- فليتخذ فوق وسادته منشفةً خاصةً تصون الوسادة عن ذلك ، ولا ترفع صوتك بعُطاسٍ تظرُّفًا سَمِجًا ، وأسوأ من هذا رفعُ صوتٍ في تثاؤبٍ ، ومَن مرض بعلةٍ في جلده تضطره إلى حَكِّه فليتق هذا بين أيدي الناس ، فإن غُلب فليغسل يده قبل مسِّهم أو مؤاكلتهم لزامًا ، أما العابثون بأقدامهم وجواربهم بين أيدينا ثم هم يؤاكلوننا ويصافحوننا ؛ فعالَم نِتنة ، كما قال علي جمعة —

أحرقه الله- في طائفةٍ من المسلمين ، وإذا كنت كثير العرق فاجتنب ما يزيد العرق أو يُخَبِّثه من المطاعم والمشارب ، وأكثِر الاغتسال لا تملَّ ، وتطيَّب بأجود الطيب لا تُقَتِّر ؛ فإن نفسك أولى بالصيانة من مالك إن كنت عبدًا جميلًا ، ومن ضاق وقته أو حاله عن الاغتسال فليغسل يديه ووجهه وذراعيه وعنقه وما استطاع من جسده ، ومن رجع إلى بيته كثير العرق فلا يجلس على أريكةٍ ولا ينم على وسادةٍ وسريرٍ قبل أن يغتسل مهما كان تعبه ؛ فإن العرق إذا نفذ إلى الفُرُش لم يبرحها ، وإذا تراكم فيها لم يكد شيءٌ يصلحها ، وليتخذ له منشفةً خاصةً لا يجفف جسده بمنشفة غيره ، ولا تجفف قدمك بمنشفةٍ يجفف بها غيرك وجهه ، ولا تُقبِّل امرأتك ولا تعانقها ولا تمسَّها -وأنت على هذه الحال- مهما عظُمت حاجتك إليها ، ولا تنفعُك التحلية قبل التخلية إذا تطيبت فوق عرقك بل تضرُّك ، ولا يدخِّنُ إنسانٌ -وله زوجٌ وذريةٌ يُقبِّلهم- إلا وهو شديد الأَثَرَة (الأنانية) ، وتعهَّد سُنن الفِطرة لا تبطئ بها ، ولعلك أن تموت فاحِشَ الشعر فترَى من مُجَرِّدك الثيابَ ومن مُغَسِّلك فيؤذيك هذا ، وما نزعت من شعرٍ وظُفرٍ فلا يكن على فراشك ، ولا تُبْقِه على الأرض ، ولا تترك أدوات حلاقة شعر الإبطين والعانة -وفيها آثار ذلك- ظاهرةً في الخلاء حيث تُرى ، وهذِّب شاربك أن تؤذي به رائيك ؛ كيف بزوجٍ وولدٍ تُقبِّلهما! وما تناثر من لحيتك فلك أخذُه ، ولا يبالغُ رجلٌ في تنظيف جسده وتجميله ؛ إلا أخجل امرأته أن تفرِّط في هذا إن كانت من المفرِّطات ؛ فإن المرأة تأنف التَّزَيُّد عليها في تجمُّلها وتغار أن تُسابَق في هذا ؛ كيف إذا سابقها رجلٌ! ولا تتمخَّط في حوض المطبخ ولا تبصق فيه ، وإذا كثُر مخاطك فاجعله في مناديل عدَّةٍ ؛ أن يصيب يدَك منه شيءٌ ثم تمسَّ بها شيئًا ، ولا تبصق جوارَ مُجالسِك ومُماشِيك ، وأغلق فمك وأنت تمضغ الطعام ، ولا تُضِف ضيفًا في

انقطاع ماءٍ أو انكسار باب خلاءٍ أو فسادٍ في صندوق طرح المرحاض أو شطَّافه ، وعارٌ نسيانك استعمال صندوق الطرد بعد قضاء الحاجة في المرحاض ، وإذا بُلْت قائمًا فسدِّد في المرحاض ببولك لا تتوهَّم خلاءك بستانًا مفتقرًا إلى رِيِّك ، ولا تُطِل المُكث في الخلاء بغير حاجةٍ ما ساكَنك أحدٌ فلعله أن يحتاج إلى التخلي ويستحي ، واحرص على تجفيف عورتك بعد التخلي ؛ فإن جفاف الجلد أعْوَن شيءٍ على صحته ، واجعل في كل سلة قمامةٍ كيسًا يحفظ السلة من عفن الرائحة ويَسهل رميُه بما فيه ، فأما سلة الخلاء فلا بد لها من غطاءٍ وكيسٍ ، ولتذكر المرأة أن حفاضات أطفالها -وإن كانت زاهية الألوان- ليست زينةً تُزيَّن بها الأحواضُ فتتركها عن يمينها وشمالها ، ولا تشرب من فِيِّ زجاجةٍ إلا أن تكون خالصةً لك ، ولا تأكل على سريرٍ ولا سِجَّادٍ بغير حائلٍ فيصيبهما شيءٌ من لون طعامٍ أو رائحته ، ولا بأس بالتشارك بين الاثنين في الطعام الصُّلب ، فأما السوائل كالحِساء ونحوه فلا ؛ بل يُستحسن شربها كلٌّ في إناءٍ خاصٍّ ، ومن اتسخت يده من طعامٍ فقدَر أن يؤخر شرب الماء حتى يغسلها ؛ فليفعل ؛ فإن هذا أرفق بأهله في غسل الماعون ، وأزِل أثر الطعام من يدك قبل استعمال الصابونة لئلا يوسِّخها شيءٌ منه ، وإذا أبقى أهل بيتك من الطعام نصيبًا للغد فاتركه لله ؛ فإن الله رحيمٌ يحب الرُّحماء ، وإن خير المسلمين خيرهم لأهله ، ولا تخُض في ذكر ما يُستقذر والناس يأكلون ، ولا تلبس نعلًا مبلولًا بالخلاء وأنت لابسٌ جوربك ، وأقبح من هذا أن يكون في بيتٍ من بيوت الله الكريمة فتخبُث رائحته بسبب كَسَلِك الملعون ؛ فإنه لم يزل يُنتن الجوارب والبُسُط والنِّعال ، ومن تعلل بشدة البرد في هذا فلا أشد من نفسه برودةً ، واغسل نعلك كل حينٍ ، ولا تستهن باجتماع الشعر في الحوض فلعله أن يسدَّه ،

والراجح عدم إثم الرجل يمرُّ بالأذى في أرض بيته فيرفعه عونًا لأهله ، ولا يُكثر الرجل والمرأة التعرِّي بغير حاجةٍ إلى هذا ؛ فإن الأجساد غير مشتهاةٍ على كل حالٍ وحينٍ ، ولا يأت الرجل إلى امرأته في التَّمَاسِّ بينهما شيئًا لم تَجْرِ به العادة متعللًا بجوازه ؛ إلا أن يستأذنها فيه فتطيب به نفسها ، ثم ينظر إذا فعل هل رضيت به أم لا ، ولا تسبق شركاء الطعام إليه قبل اجتماعهم عليه ؛ كيف إذا كان المطعوم محدودًا أو معدودًا! فمن فعل فهو لئيمٌ راضِعٌ ، وإذا كنت في جماعةٍ وحضركم نومٌ والمكان ضيقٌ ؛ فلا تسبق إلى خير المكان فتصطفيه لك من دونهم ، وإن كانت وسائد الصالونات والأنتريهات مما لا يُنَجَّد ؛ فلا تنم عليها كما يُنام على وسائد الأَسِرَّة ، وأيُّما امرأةٍ لم تعبأ بنظافة بيتها فلا تعتِب على أضيافها إذا عاثوا فيه فسادًا ، وإذا نهضت من فراشك بعد نومك فأعِدْه خيرًا مما كان عليه ؛ كيف بهذا في بيوت الناس! وإن شريف النفس لا طاقة له بتنظيف الناس ما وسَّخ وترتيبهم ما بعثر ، ولا تضبط أكثر من منبِّهٍ ما كان إنسانٌ نائمًا قريبًا منك ؛ فإن إزعاج اليقظان مؤذٍ ؛ كيف بالنائم! ولا تُضِئ مصباحًا حيث ينام أحدٌ ولو كان طفلًا صغيرًا ، ولا تُصَعِّد نظرك إلى صاحٍ من نومه قبل أن يغسل وجهه إلا أن يكون غير مُبَالٍ بنفسه ، وإن تحرِّي غسل الوجه بالماء والصابون قبل مخالطة الأهلين وغيرهم ؛ مما لا يوصَى به لشدة بداهته ، ولا تُدخل ضيفك الخلاء حتى تُخْلِيه من ثياب أهلك جميعًا ، وقبل زيارة العَازِب إياك فأَخْلِ الخلاء من ثيابك التي لها عُلْقَةٌ بالزواج ؛ فإن هذا أرفق بنفسه وأَنْزَه لك ، ولا تخرج بثياب نومك إلى الشارع بَلْهَ (فضلًا عن) المساجد ، وما كان ثوبك خفيفًا أو ضيقًا أو قصيرًا ؛ فانظر كيف جِلستك بين أيدي الناس ؛ أن تظهر سوأتك أو تتحدد وأنت غافلٌ ، واحتسب في جميع هذا التجمُّل لله.

ذلك ؛ وما وجدت خَرْقًا في نظافة بيتٍ أباح أهلُه لك دخوله ؛ فاستره عليهم رأفةً وشكرًا ووفاءً ، ومن ستر سُتر ومن فضح فُضح ، وإنما يُكَال للعبد بما كال ، ومن أمِن لك من أهلٍ وأصحابٍ فانصح له بهذه النصائح مغتنمًا أمانه ؛ فإن أقل الناس يقبل الاستدراك عليه في هذا الباب ، ومن عجزت عن نصحه في هذا فلك في الإشارات ما يُسْعِفُك عن العبارات ، فأما الأزواج والأولاد فالنصح لهم في هذا مفروضٌ والتفريط فيه حرامٌ ، وأما والداك فهما أولى الناس بنصحك في كل مكرُمةٍ ؛ لكن ترفق بهما وتلطف لهما واغتنم ساعات الرضا ، ومن عرفت وسواسه القهري في النظافة ؛ فارحمه بشدة التحرّي عنده رحمك الله ، فإن عجزت عن هذا فلا تخالطه إلا قليلًا ، ومن اعتنى بتنظيف جسده رعايةً لنفسه وللناس ؛ فليكن اعتناؤه بتزكية قلبه (الذي هو مَحِلُّ نظر ربه) أولى وأولى ؛ فإن نفس العبد واحدةٌ ، إذا تمكن الجمال منها فاض ضرورةً عنها ، "وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ".

حبيبي ؛ أنت وحدك من لا يتقزز من جسدك ، نحن عنه أجانب ؛ فتجمَّل جمَّلك الله.

اللهم ربَّنا السُّبوح القدُّوس السلام الطيب الجميل المتكبر المتعالي ؛ جمِّل نفوسنا وأجسادنا ، وأعِذنا من القبح كله ؛ دِقِّه وجِلِّه ، علانيتِه وسرِّه ، لا إله إلا أنت.

• لعل فضائل خُلق "الإيثار" إذا طلبها أخي المدخن "سجائر أو شيشة" ؛ أعانته على ترك التدخين أسرعَ شيءٍ ؛ أن يتبصَّر إيذاءه أبويه بالتدخين في نفسه وما يعنيه عندهما والدين ما أنجباه إلا ابتغاء كماله ، ثم إيذاءه امرأته إذ يدنو منها لا يبالي بخبيث ريح فمه وسواد لون أسنانه عندها ، ثم ما يلحق أبناءه من الضرر النفسي والحسِّي ، وأعظم من ذلك هوان هذه المعصية في قلوبهم البريئة ؛ فلو أن أخي -تاب الله علي وعليه- آثر هؤلاء المصطفَين عنده على نفسه ؛ لجدَّ في الخلاص منها ، حتى تكون كل خطوة قربٍ منهم وحرصٍ عليهم خطوة بعدٍ عن التدخين ونفورٍ منه ، والله مولى طيبات العادات لطيِّبي العباد.

• كنت إذا أردت ضرب أختي الكبرى -كثَّر الله في المسلمات أمثالها- إذا آذتني ونحن صغارٌ ؛ نهتني والدتي -حفظ الله مهجتها وأعلى في الجنة درجتها- نهيًا شديدًا ، وقالت: البنات مبيتلمسوش بسوء.

• لا تزعج نائمًا بشيءٍ ؛ وإن كان طفلك الصغير ؛ لطفًا نبيلًا.

لا تفتح باب حجرته ولا نورها إلا لحاجةٍ بقدْرها ، ولا ترفع صوتًا جوارَه.

أما الوالدان ؛ فحفظ نومهما فرضٌ كريمٌ ، سيَّما من إذا انزعج منهما لم يستطع النوم تارةً أخرى.

• ما أبقت والدتك أو امرأتك من طعام الغداء للغد تخفيفًا على أنفسهن ؛ فسابقهن في اللطف بهن والعطف عليهن واحفظه أنت لهن ، وليكن طعامك -في عشائك- أي طعامٍ. تلك الرعاية منك لهن -على سهولتها- كاشفةٌ عن رأفتك ورحمتك ومروءتك ؛ "خيركم خيركم لأهله" ، وأولاكم برفق الرحمن أرفقكم بعباده.

• تقبيل المرأة يد زوجها ونزعها جوربه ونحو ذلك على وجه الإكبار ؛ لا ينبغي لها قبل أن تبلو الأقدار -بسرائها وضرائها- نفاسة معدنه في مدةٍ كافيةٍ ، فإن فعلته في بعض الأحوال رقةً أو رأفةً فحسنٌ صحيحٌ ، كما أنصح للرجل ألا يبالغ في خدمة امرأته بالبيت أول أمرهما ؛ حتى تمتحن الأيام نشاطها وحسن رعايتها فيما عليها ، أما تحمله عنها إذا تعبت نفسًا أو حسًّا فلائقٌ به رجلًا مسلمًا رحيمًا.

• أختك حتى لو الكبيرة صغيرة ، وانت أخوها الكبير على كل حال.

هي الصغيرة اللي أولى ببرك ولطفك واهتمامك ، وانت الكبير بالوفاء بكل ده.

مفيش شيء اسمه أختي مش بتتصل ولا بتسأل ؛ أختك بنتك ، وبالذات في الزمن ده.

ممكن تكون مقصرة بجد وعذرها مش مقبول ؛ بس خلي دايمًا حظها منك أوفى من حظك منها ، خصوصًا لو متزوجة ، أما لو مريضة ولا في مشاكل فعيب بجد.

أختك اللي لسه متجوزتش -وانت اتجوزت- حقها عليك أكبر بكتير ، وكل ما زواجها -بحكمة الله- يتأخر أكتر كل ما حقها عليك يكبر ، وربنا يجبر بخاطر اخواتنا جميعًا.

لما تكون انت -وانت راجل- الزواج بالنسبة لك كان ولا زال ضرورة نفسية وحسية وعاطفية واجتماعية ؛ أمَّال هو بالنسبة لها إيه ؟! ولو زوجها مات ولا طلقها -كمان- عايشة ازاي بعده ؟!

عارف اللي متجوز اتنين -ربنا يجعل كلامنا خفيف على حكوماتنا- بيعمل إيه بينهم ؛

اعتبر نفسك -عالأقل- زيه تمامًا ، والبر سهل وجميل ، وتكاد متعته تبقى هي ثوابه.

معادلة التوفيق بين زوجتك وأختك مش صعبة ؛ لكنها عايزة منك صدق وذكاء وأريحية.

لو زوج أختك مات أو علاقتهم انتهت ؛ مش هقول لك متقفش في طريق زواجها ، لا لا ؛ انت اللي فكر لها في الزواج ، واعرضه عليها ، ورغبها فيه. ربنا يولع في جاهلية المجتمع السوده الحقيرة اللي بتعتبر تفكير الست في الزواج تاني وتالت جريمة ، الجاهلية القذرة اللي بتكرم الشمال وتعادي اليمين. أما حدوتة "ده أنا أمي -اللي مفيش زيها- عاشت عمرها -بعد موت أبوي- تسعى

علينا" فمش صالحة للتعميم مطلقًا ، وربنا العليم أصلًا إيه اللي كان ورا الست والدتك من الهم.

إكرام أختك أدَّام زوجها (سلبًا وإيجابًا) هو اللائق بالمنطق والمروءة ؛ سلبًا بعفوك عن أخطاءها وعدم تكليفها بما لا تطيق واحتمال زوجها حتى لو دمه تقيل حبتين ، وإيجابًا بتقديرك ليها -خصوصا في المناسبات- واهتمامك بمشاكلها معاه ولطفك مع أهله.

لازم تفهم الفرق بين أختك وأخوك المتجوزين ؛ أختك موقفها -في تفاصيل اجتماعية كتيرة- تابع غالبًا لزوجها ؛ فخفّ عليها ، وبلاش المرار اللي بنشوفه حوالينا.

أولاد أختك ؛ خليك معاهم خالو الجميل مش خالو الغتت ، ومش معصية -والله- لو اعتبرتهم أولادك ، خصوصًا لما يتخانقوا مع عيالك.

عدِّي المشاكل كلها ؛ مشاكل الطفولة ولما أكلتك سنة ٥٦ ملوخية بايتة ، ومشاكل جوازها في بدايته ولما مسمعتش كلام سمو جناب جلالتك في الأنتريه ، أما مشاكل زوجها وأهله في بداية جوازهم سنة ٦٧ فكفاية تفكرها بيها وتحاسبها عليها ، مهما كانت.

علاقتك الحلوة بزوجها مهمة جدًّا ربانيًّا وإنسانيًّا ، ومثمرة جدًّا لما بتحصل مشكلة بينهم.

لما ترجع لك أختك في مشكلة توَّسط في المعالجة ؛ مشاكل كتيرة مش عايزة أكتر من استماع صادق ومواساة لطيفة ، مش لازم كل مشكلة تطلَّع العمدة اللي جواك ، وأرجوك متحملهاش حل كبير متقدرش عليه ، بالذات لو سعادتك هتقوله وتروَّح وهي اللي هتواجه آثاره لوحدها.

الهدية والعيدية ، وتفقَّد حاجاتها اللي زوجها مش بيحققها ؛ سواء هو عاجز أو مقصر.

لو مات والديك ؛ فالعلاقة بأختك لازم تتعمق أكتر وتوسع أكتر ، انت السند والبقية.

تاني بوصيك بأختك اللي اتأخر زواجها ، أو اللي فقدت زوجها ؛ مكانها -لوجه الله- بين عينيك.

آخر شيء وأغلى شيء ؛ وصية النبي -عليه الصلاة والسلام- بأختك ؛ سأله صحابي: من أبرُّ يا رسول الله ؟ قال الحبيب الجميل الطيب الوالد الكبير: "أمَّك وأباك ، وأختَك وأخاك ، ثم أدناك أدناك".

رزقك الله بر الطيبين ، وأعانك عليه ، وأثابك به في نفسك وأهلك وولدك ، وتقبل منك.

- هل يحس أحدكم في أخواته البنات ما أحس ؟!

أحس في حضرتهما بالفخار ، أحس شيئًا جليلًا ، أحسُّني عظيمًا.

سواءٌ في هذا الكبرى والصغرى ؛ إي وإلهي.

اللهم من حجب عن عينيَّ ضيائيهما ؛ فاملأ جَدَثَه عليه ظلماتٍ.

إني لأُحب أختيَّ حبًّا شديدًا ، كلتاهما لي والدةٌ.

أرضاكِ الله يا أمي ، وبورك ما ورَّثتِ أختيَّ من نعوت الجمال.

يا خليلتيَّ ؛ رحمة الرحمن وبركاته عليكما أبدًا.

يا كل ودودٍ قسَم الله لي بقلبه من الحب نصيبًا ؛ برَّ أختك عني.

يا صديقتيَّ ؛ أنتما أولى مني بحياتي كلها والله.

آهِ لو كان العمر يُوهب ؛ لوهبتكما عمري ، ثم لا أجد ذلك شيئًا.

ما يضرنا الفراق هنا ؛ إذا جمع الله بيننا هناك ؟

ليت لي من صِدِّيقية المرحمة التي ملأ ربي بها قلبيكما ؛ حظًّا.

أدهشكما الغفور بمغفرةٍ لا تبقي حُوبًا ولا تذر.

أخشى أن يقال لي غدًا: حين كنت تقول ؛ كانت أختاك تعملان.

يا ابنتيَّ ؛ لكما من أُبوَّتي ما لي من أُمومتيكما.

بسم الله أرقينا وأمثالنا ؛ يصلح ربنا بالصدق بالنا وحالنا ومآلنا.

• هذا الشيء الذي تمر به ملقىً في أرض المنزل فتكسل عن التقاطه ؛ سينحني ظهر والدتك بعدك لالتقاطه ، أليس حَسْبُ ظهور أمهاتنا ما وهن من فَقَارها ؟ يا بررة الأبناء ؛ احفظوا ما بقي من آبائكم.

• إذا لم تمدح طعام السيدة البرَّة والدتك ؛ فلا تذمَّه.

شكر المعروف عبادة النبلاء ؛ كيف به من امرأةٍ ؟ أم كيف به من أمِّك ؟

• ما أبقت والدتك أو امرأتك من طعام الغداء للغد تخفيفًا على أنفسهن ؛ فسابقهن في اللطف بهن والعطف عليهن واحفظه أنت لهن ، وليكن طعامك -في عشائك- أي طعامٍ. تلك الرعاية منك لهن -على سهولتها- كاشفةٌ عن رأفتك ورحمتك ومروءتك ؛ "خيركم خيركم لأهله" ، وأَولاكم برفق الرحمن أرفقكم بعباده.

• في كل مرةٍ تساءل المسكين حيرانَ: ما يقطعني عن ربي وأنا أستوصله بكل سببٍ ؛ كان الشيطان يزحزح فكره عن أعظم القواطع عن الله ؛ قطيعة الرَّحم ، فأما الله فقد أجاب سؤال هذا المسكين من قبل أن يكون ؛ يوم قالت له الرَّحم وقد تعلقت بعرشه المجيد: هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال علا وتعالى: "نعم ؛ أما ترضين أن أصل من وصلكِ ، وأقطع من قطعكِ ؟" ، قالت: بلى ، قال: "فذاك لكِ".

يا أيها الراغبون في وصلٍ بالله غير ممنونٍ ؛ صِلوا أرحامكم ، فإنه ليس بعد وصل الله غايةٌ تُرجى.



للرجال



• متى يكف رجالٌ عن إحالة معاتبات نسائهم العاطفية ؛ إلى مسائل عقليةٍ ؟!

تشكو إحداهن إلى زوجها حاجة قلبها إليه وبالغ شعورها بفقده ؛ فيُخرج "ديدات" -رحمه الله- المخبوء في رأسه ، ويناظرها مناظرةً جدليةً برهانيةً ، ويحيل مقام الحب -بارعًا- إلى حساباتٍ رقميةٍ ، تدليلًا وتحليلًا وتعليلًا وتفصيلًا ؛ ليخرج من محاورتها مزهوًّا بانتصاره ، يحمد الله أن أظفره عليها!

ولا يزال بها كذلك حتى يتجاوزه -على طول الأيام وشدة الهُيام- قلبُها ؛ تشتكي إلى الله -وحده- والله يسمع.

• "خيركم خيركم لأهله" ، "خياركم خياركم للنساء".

معيار خيرية الرجال الحق في البيوت ، حيث لا رياء ولا سمعة.

إن قويًّا يقدر على ضعيفٍ مختليًا به فيتولاه بالرأفة والرحمة ؛ لمستحقٌّ أن يكون خير الناس.

• كن والدًا لأولادك جميعًا ؛ لا تكن والد الذكر تؤثره بأَثارة الجاهلية الأولى في اصطفاء البنين ، ولا والد الأنثى تؤثرها بعُقَد أفكارٍ أو تجارب عن الذكور ، ولا والد الكبير تؤثره لسَبقه وأوَّليته ، ولا والد الصغير تؤثره لأنه آخر العنقود ، ولا والد القوي تؤثره خوفًا ، ولا والد الغني تؤثره طمعًا ، ولا والد الشاهد تؤثره لحضوره ، ولا والد البعيد عن ربه تؤثره لأنه لا ينغص عليك حياتك كما تزعم ، ولا والد الإمَّعة تؤثره لأنه يوافقك في كل حقٍّ وباطلٍ ؛ كن والدًا لأولادك كلهم كَسْبًا كما جعلك الله والدًا لجميعهم وَهْبًا.

ليس حرفي هذا في والدٍ يؤثر الودود الرفيق البرَّ الصالح -من أولاده- فيقدمه على إخوته طبيعةً وضرورةً ، ولا في والدٍ لا يملك قلبه في زيادة محبة بعض أولاده ما لم يظلم غيره بها (في حياةٍ أو موتٍ) ، ولا في والدٍ يؤثر ولدًا على إخوته في أمرٍ من الأمور لعارضٍ من العوارض حتى يزول ؛ كصغيرٍ حتى يكبر ، ومريضٍ حتى يبرأ ، وغائبٍ حتى يعود ، وشاردٍ عن ربه حتى يؤوب إليه.

بل هو في ظلومٍ جهولٍ ؛ يؤثر بعض أولاده دِيمَةً على بعضٍ بغير ميزانٍ ؛ أولئك المستدبرون قلوب أبنائهم ، المفسدون ذات بينهم ، أنقذهم الله من حُفَر الجَوْر وأنقذ منهم ، ومتعنا بالقسطاس أجمعين.

• تشقى امرأته في إعداد طعامه وعياله ما علم الله في نفسها وبدنها وبالها ووقتها ، فيعكِّر "الرجل الرايق" صفو إحسانها ذامًّا أو مادحًا ، ولَمَدْحُ أولئك -معكَّرًا بـ "بَسْ"- شرٌّ من خالص ذمهم لو كانوا يشعرون.

الطعام طيبٌ ؛ "بَسْ" ينقصه نوع كذا ، "بَسْ" ينقصه كيفٌ ، "بَسْ" ينقصه كمٌّ ، "بَسْ" لو قدمتِ زمانه ، "بَسْ" لو هيأتِ مكانه ، "بَسْ" لو عدَّلتِ ألوانه ، "بَسْ" لو أرخصتِ أثمانه ، "بَسْ" لو شويتِ باذنجانه.

لست ألوم رجلًا ينصح لزوجه في مطعمٍ ومشربٍ ومنكحٍ وملبسٍ بلطفٍ ؛ شاكرًا خيرها كمسلمٍ نبيلٍ ؛ بل مَنِ التعقبُ خليقتهم والاستدراكُ طريقتهم ؛ متى يكفون عن رشِّ معكِّر "بَسْ" في جوِّ كل معاملةٍ ؟!

يا صديقي ؛ كلما كمُل الرجل عطف على نقص أنثاه بالجبر واغتفر لها واحتمل منها ، يا حبيبي ؛ حسبك منه سوءًا وراثة ذكران أبنائك إياه عنك ، ثم يؤذون به نساءهم ، ذاك إسنادٌ بغيضٌ رحم الله من قطعه.

• الآن يبلغ عقلي فيما كان ظنًّا له من قبلُ حقَّ اليقين.

مرجع كثيرٍ من معاناة النساء مع أزواجهن إلى فراغ بالهم وخلاء حالهم ، شهدت ذلك بنفسي كثيرًا ، وقاكم الله سوء هذا الداء العضال "فراغ البال وخلاء الحال" ؛ أن تكون طاقة الرجل محفوظةً مصونةً لا يكاد يُصْرَف منها شيءٌ داخل البيت أو خارجه ؛ هنالك تُصْرَف في عجائب المشكلات وغرائبها.

لعلكم تظنون هذا النوع "اللذيذ الرايق" من الرجال ساكنًا لا يتحرك ، عاطلًا لا يعمل ، بل يتحركون ويعملون ، لكن هذه المصارف اليسيرة لا تُجهدهم شيئًا ، وطاقة الإنسان أعظم من أن تذهب في ذلك.

كنت أقول لهؤلاء الرجال: لو شغلتم أنفسكم ببعض أطايب الدين والدنيا ، لو زاحمتم فراغكم بمصالحكم أنتم لا مصالح نسائكم وأبنائكم ، لو قضيتم أوقاتكم في شيءٍ من اللهو واللعب ، لو كان ذلك كذلك ؛ ما وجدتم بالًا ولا حالًا تعينكم على هذا الكمِّ الضخم من المشاكل التي تحدثونها ، قاتل الله الفراغ.

• "اتقوا الله في النساء ؛ فإنهن عَوَانٍ عندكم".

يبكي أحدكم لأسرى الطغاة ، ثم لا يتقي الله في أسيرته!

• بينما أنا وهو في طريقٍ إذ اتصلت به زوجه مرارًا ، وكان كلما سمع رنين هاتفه قطعه باسمًا لا يبالي ، قلت له: لعل لأهلك حاجةً فيتصلون كثيرًا لأجلها ، قال في هدوءٍ منقطع النظير: "لا لا ، ولا حاجة ولا شيء ، هي على طول كده ، لازم تطمن علي كل شويه ؛ أخبارك إيه ؟ ورحت فين ؟ وعملت إيه ؟".

يا صديقي ؛ هذا الذي تزهد فيه اليوم من الحب وترغب عنه من القرب ؛ أنت أحوج شيءٍ إليه غدًا ، يا صديقي ؛ قد خلق الله القلوب أطوارًا ، يركب أهلها طبقًا عن طبقٍ ؛ فلا يخدعنك إقبالها عن إدبارها.

يا حبيبي ؛ إذا جففت الشمسُ البحرَ لم تجفف عاطفة المرأة ، لا يجففها إلا زوجٌ باردٌ بليدٌ ؛ بنفسه مشغولٌ مشغوفٌ وعن امرأته صادفٌ مصروفٌ ، وإنها إن جفت اليوم بقسوة غفلتك لم تغثها غدًا سماوات يقظتك ، يا حبيبي ؛ من فرط في الحب طوعًا واختيارًا حُرِمَه قهرًا واضطرارًا ، يا حبيبي ؛ هل جزاء العناية إلا العناية ؟! يا حبيبي ؛ أنت بزيادة الرعاية أحرى ، يا إلهي! من أمن المحبة أساء الوصال.

• ليس العملاق الذي تَبْهَرُ عينَك صورةٌ من نسيج لحمه وعظمه ؛ إنما العملاق الذي تَبْهَرُ قلبَك حقيقةٌ من نسيج عبوديته ومروءته ؛ رجلٌ يعطف بجناحيه على امرأةٍ زلَّت قدمها بفاحشةٍ أو أصابت منها شيئًا ، ثم آبت إلى كهف غفران ربها -راغبةً راهبةً- وأنابت ، وأحدثت بعد السوء إحسانًا كبيرًا كثيرًا ؛ فرضيها لنفسه زوجًا ولعياله أمًّا ، وستر ابن الإسلام والأصول الذي رباه أبواه عليها سترًا جميلًا ؛ حتى لو أنه تكلَّف يومًا ذكر ما فعلت حبيبته ما

تذكر ، وعاملها بما يحب أن يعامله الله بمثله إذا باءت بين يديه بمثل ما باءت هي بين يديه ؛ فجبر الطيب منها ما انكسر ، ووصل المطيَّب منها ما انقطع ، ورحم ذل نفسها الذي أحْنَى رأسَها ؛ حتى باتت المسكينة بين لطفه وعطفه في سكينةٍ ، وأصبحت بين سَحْره ونَحْره في سِلْمٍ وطمأنينةٍ ، يأتيها من حنانه قوتُ أمانها بكرةً وعشيًّا ، قد تولَّى الرحمنَ بتولِّيها وكفى بالرحمن بينهما وليًّا ؛ فهي اليوم زوجه على بساطٍ من تقواه تتبختر ، وغدًا أم عياله في ظلالٍ من ذِمَامِه تتباهى.

يا رجلًا امتحنه الله بمثل هذا ؛ إن لم تكن لهذه المكرُمة الجِبريلية أهلًا ؛ فدعها لأربابها السادة النبلاء ، وتنحَّ عن هذ الشرف الجليل لأهله الأجلاء ؛ ألا إن عبدًا يؤمن بهَوْل الحساب لحَرِيٌّ به أن يدخر له هذه الحسنة ، كلما عظُم أمان زوجه في صدره عظُم في السماء والأرض قدْره ؛ نعم العبد إنه عملاقٌ.

• أربعةٌ لا تقبل المرأة فيهن مزايدة الرجال عليها ؛ الأنوثة والصداقة والتبعُّل والأمومة ؛ مهما بلغت فيهن أخطاؤها والخطايا ، وتتابعت فيهن كوارثها والرزايا ؛ ألا إنَّ كلكم جرَّب تجربتي ، فعرف معرفتي.

فإذا نصحت لذاتِ قرابةٍ ذاتَ جنونٍ في ضلعٍ من هذا المُرَبَّع المُبَجَّل -أبًا أو أخًا أو زوجًا أو ولدًا أو جدًّا أو حفيدًا أو خالًا أو عمًّا أو ابنَ أخٍ أو ابنَ أختٍ أو مُحَرَّمًا بالرَّضاع أو مُحَرَّمًا بالمصاهرة- فترفَّق بها وتلطَّف ، وترقَّق لها وتعطَّف ، ثم لا تظن بنفسك -وغدًا لئيمًا- إلا ما يليق بك من أنواع الشرور.

واعلم أنك -إذ خطرتْ لك المزايدة عليها ببالٍ ، وطافت لك بخيالٍ ، ودارت لك بمجال-ٍ شريرٌ باغٍ ، مُبِيرٌ طاغٍ ، قد بِتَّ ليلَك تمكر لها المكائد ، وقطَعت

نهارَك تَحِيك لها الشدائد ، ما رجاء باطنك إلا تكسير عظامها ، ولا جُهد ظاهرك إلا تدمير حطامها ، لا ترقُب فيها إلًّا ولا ذمةً ، ولا تساوي في سوق الرجال مثقالَ رِمَّةٍ ، لم يُكتب لك في فهم بنات حواءَ حظٌّ ، ولم يُقسَم لشعورك بهن من الإحساس نصيبٌ.

أما ما سوى الأنوثة والصداقة والتبعُّل والأمومة ؛ فتقبل المرأة فيه نصيحتك إذا ألنت الكلام ، وأطعمت الطعام ، وصليت بالليل والناس نيامٌ ، وسألت الله التوفيق بين الركن والمقام ؛ يا بني ؛ رَيِّحِ المدام.

• قوة العاطفة شيءٌ ، والذكاء العاطفي شيءٌ آخر.

امرأتك أحوج إلى ذكاء عاطفتك ؛ من حاجتها إلى قوتها.

أربعون امرأةً يسُوسُهن ذكي العاطفة ، والغبي تطيش به ربع امرأةٍ.

"وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا".

تأمل جمْع عباد الرحمن في دعائهم بين قرة العين بالأهلين ، وبين الإمامة ؛ لعله حُسْنُ السياسة.

• هذا منشورٌ لك أخي من دون النساء ؛ الحقَّ أَصْدَعك به غيرَ مداهنٍ وتغفر لي.

تأملت حال أكثر الرجال في نسائهم وأبنائهم ؛ فإذا هم كالجماعات الإسلامية المسالمة مع الأنظمة الطاغوتية الحاكمة ؛ هؤلاء يعرفون ما عليهم في نسائهم وأبنائهم من التكاليف القلبية والنفسية ، ثم يُبْطؤون بأكثرها أو يقعدون دونها ، يظنون أنفسهم أذكياء كلما جاوزوها ، ثم يُضْحُون على آثارها شنيعةً

فظيعةً ولات حين مناصٍ ، وأولئك يعرفون ما عليهم في مواجهة الأنظمة من التكاليف الحقيقية الواقعية ، ثم يتقاعسون عن أغلبها أو يَثَّاقلون عنها ، يحسبون ذواتِهم حكماء كلما تخطَّوها ، ثم يُصَبَّحون بعواقبها عاصفةً قاصفةً ولات حين مندمٍ.

ألا إن أشد موجعات الأفئدة ؛ أنه مهما بذل هؤلاء وأولئك بعد فوات الأوان ما أخَّروا بذله ؛ لم يكن لهم به ما يرجون منه ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

• عدلًا أقول لكم: بعض الرجال أكثر للَّعن وأكفر للعشير من كثيرٍ من النساء.

• ولي المرأة الذي تشكو إليه ظلم زوجها الشديد الموصول الباطن الظاهر ، الذي صبرت عليه طويلًا ، وبالغت في احتماله كثيرًا ، ولسان حالها يقول: أخشى على نفسي الفتنة في الدين يا هذا فكن لي بحقٍّ وليًّا ، وفي تلميحها ما يغني عن تصريحها ، وفي إشارتها ما يكفي من عبارتها ، وهو مع كل ذلك لا يبالي ، تارةً يوصيها بمضاعف الصبر ، وتارةً يقول لها: معندناش بنات بتطلَّق ، وتارةً يزجرها هو الآخر ، ومن هؤلاء أخٌ تحاذر أخته وقاحته وخسته فلا تشكو إليه ما تعاني مهما بلغ بها في نفسها وحِسِّها ؛ هذا الولي الأبعد يتفق مؤمنو الإنس والجن على فسقه وظلمه وسقوط ولايته وحرمته ، وأن على المرأة الاستبدال به رجلًا آخر من صالحي أهلها ، فمن لم تجد فرجلٌ من حكماء المسلمين ينظر في شأنها كما ينظر في شؤون بناته ، أهوالٌ تبلغنا كل حينٍ ؛ حسب المهضومين الله ونعم الوكيل.



للنساء



• خزائن النكد لدى كثيرٍ من النساء لا تنفد ، ولو يباع لاشترينه سعيداتٍ به!

يا هذه ؛ ليست الكآبة مقصودةً لذاتها ؛ فإذا حاول زوجك كشفها فأعينيه برحمةٍ.

ادخري لنفسك من أنفاس زوجك ؛ فاقنعي بإرضائه لك وإن كان يسيرًا ، حُضِّيه بهذا -عاقلةً- على المزيد ، وأغريه -ذكيةً- بالديمومة ، واجبريه -والدةً- في كسره ، وعند الله لا يضيع شيءٌ.

ألست ابنة خديجة يرضى الله عنها ؟ فلقد كانت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- زوجًا وأختًا ووالدةً ، فأعلى ذلك في قلبه مقامها ، وقسم الله لها من عقله الكريم ما لم يقسم لسواها من النساء.

رحم الرحمن من قال: من ابتغى أن يخرج من سخطك بعذرٍ ؛ فافتح له سبيلًا.

ألا إن طول النكد يحرق من القلوب طاقاتها ، ويمحق من البيوت بركاتها.

• إلى جمهرة النساء ، ومن أشبهَهُن من الرجال (في جنون الحب):

استيفاء الحقوق في الحرب أهون من استيفاء الحظوظ في الحب ،

لا ترجوا من الحب كل ما ترجون ، ولا تُكلِّفوا من تحبون جميع ما تحبون.

أكثرُنا يحب بعد جوعٍ قلبيٍّ شديدٍ ، وصبرٍ على الظمأ مديدٍ ، فإذا أحب أسرف في الرجاء ، وأسرف في الوصال ، وأسرف في الكلام ، وأسرف في الفِعال ، فيُكلِّف محبوبه كل مشتهَيات الحب ؛ عاجلةً غيرَ آجلةٍ ، مجموعةً غيرَ مفرَّقةٍ ،

تامةً غيرَ منقوصةٍ ، بلسان مقاله حينًا ، وبلسان حاله أحيانًا ، وهو داءٌ خفيٌّ واسعٌ مكينٌ.

يُعظِّم هذا الداءَ أمران ؛ وقوعه من صاحبه -أكثرَ الأحوال- بغير وعيٍ به وقصدٍ له ؛ فأنَّى يعافى منه! الثاني: أن المسرف يُغلِّف سَرَفَه بغِلاف الحب (تفسيرًا وتبريرًا وتمريرًا) ، وليس من احتال بالحب كمن احتال بغيره ، المحتالون بالحب ظافرون.

يزيد داءَ المحبوب علةً قبولُه طمعَ المحب وجشعَه بل استمتاعُه به في بدايات الحب اللاهبة المُلهِبة ؛ لشدة افتقاره إلى الحب ، ويزداد طينُ المحب بِلَّةً إذا كان خفيف الديانة والعقل والمروءة جميعًا ، ولو ثقُل فيها لكان عند الله لطيفًا.

يا رِفاق الأفئدة ؛ لا جَرَم أن الله خلق أفئدتكم للحب ؛ لكنه نوَّع المحبوبين لها ؛ لتَقسم بينهم حبَّها ، وجعل محبته أولى محبةٍ ، فمن بدأ بها فجعل محبته لله أعظم محبةٍ ؛ لم يَشْقَ بما بقي من الحب في قلبه للمحبوبين جميعًا ، وإن الحب قوتٌ ؛ يشبه سائر الأقوات في معانٍ ، ويُخالفها في أخرى ، وإن له فقهًا ؛ منكم من يكتسبه ، ومنكم من يُلهَمه ، "نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم" ، "وكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا".

• شدة الجمال في النساء بَطَرٌ ، والأنوثة ضعفهن الجميل الصادق الفتان ، وكم تنهش شدة الجمال في معاني الأنوثة ومبانيها! ولو أن خبيرًا حلف بالله: كلما طغا جمال المرأة جار على أنوثتها ؛ لم يَحْنَثْ.

إن العاقلة إذا لم تكُ فائقة الحُسن في بعض جسدها ؛ سعت -بوعيٍ وبغير وعيٍ- في سائر جسدها ونفسها سعيًا حثيثًا ؛ أن تكون في الحُسن مثالًا ؛ فإذا هي -عندئذٍ- أنضرُ من غنيات الجمال فقيرات الأنوثة.

تأخذ بارعة الوضاءة من الرجل بصرَه وشيئًا من قلبه ؛ لكنَّ وافرة الأنوثة لا تُبقي من نفسه وحِسِّه شيئًا ، وإن امرأةً قبض الله من جمال جسدها شيئًا ، فلم تبسط هي في جمال ما بقي من نفسها ؛ لَذَاتُ غباءٍ.

• هل آخذ دواءً يمنع نزول الحيض لأصوم رمضان وأقومه ؟ تسأله نسوةٌ صالحاتٌ.

يقول الفقهاء: يجوز هذا ما أُمن ضررُه ؛ لكن العبد الفقير يقول لك: إن اختيار الله لك خيرٌ من اختيارك لنفسك باطنًا وظاهرًا ، وإن الله أعلم حيث يجعل قضاءه ، وقد قضى لكنَّ -بناتِ حواءَ- بهذا حكيمًا خبيرًا ، وإن لله في كل قدرٍ شرعًا ، وإن شرعه العظيم في قدره الكريم هذا ؛ هو "الفقه ، والرضا ، والطيبات".

الفقه ؛ أن تفقهي عن الله حكمته البالغة فيما اختار لك ؛ عذر الحيض ، وزمانه ، وحاله ، ومدته ، وما يكون به من الآثار النفسية والحِسية ، وما يجري به من الأحكام الشرعية ؛ ذلك تخفيفٌ من ربك ورحمةٌ.

الرضا بالله ربًّا ؛ ربًّا خلقك فسوَّاك فعدلك ، في صورة معينةٍ شاءها ركَّبك ، ربًّا برأ نفسك كما برأ جسدك وشدَّ أَسْرهما كلًّا بكلٍّ ، ربًّا جعل بينك وبين الرجل حِسًّا ما بين الليل والنهار معنىً ، تتساندان -خصائصَ ووظائفَ- لا تتعاندان ؛ "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى" ؛

ما عطف الله الذكر والأنثى على الليل والنهار سُدىً ، فلو صح أن يحتج ليلٌ على نهارٍ ؛ لصح احتجاج ذكرٍ على أنثى ، ربًّا بما يصلحك في المعاش والمعاد عليمٌ ، ربًّا له الخلق والأمر جميعًا ، وقد وصل مصالح أقدار عباده بمصالح شرعه -في بناءٍ بديعٍ منزَّهٍ- حفيظًا حسيبًا ، ربًّا مقيتًا يختار لكل قدرٍ وشرعٍ زمانهما ومكانهما وأسبابهما ؛ فإذا قدَّم قدرًا فتقدم شرعٌ فله الحمد ، وإذا أخَّر قدرًا فتأخر شرعٌ فله الحمد.

الطيبات ؛ طيبات النيات ، وطيبات الأقوال ، وطيبات الأعمال ؛ يبلغ العبد بنيته ما لا يبلغ بعمله ، في الدنيا والآخرة ، وإن العبد ليُثاب على نيته المجرَّدة عن العمل ، ولا يُثاب على العمل المجرَّد عن النية ، وفي الصحيح قول رحمة العالمين صلى الله عليه وسلم: "إن بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا ، ولا قطعتم واديًا ؛ إلا كانوا معكم" ، قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله ؟! قال: "وهم بالمدينة ؛ حبسهم العذر" ، وكم من امرأةٍ يطلع الرحمن على قلبها في نهار رمضان ولياليه ؛ فإذا هو مكتظٌّ بأنواعٍ من رجاء الكمالات ، وخوفٍ من فوات الدرجات العليات ، ومحبةٍ مُرَقِّيةٍ إلى معالي السماوات ؛ ما ليس في قلوب كثيرٍ من الرجال! وتلك -والله- عبادةٌ عويصةٌ ، أربابها آحادٌ مُفرَدون ؛ أن يقوم بقلبك من صادق الرغبة فيما عند الله من حظوظ الصيام والقيام ؛ مثلُ الذي يناله بجوارحهم الصُوَّام القُوَّام ، وطيبات الأقوال ؛ لَهَجٌ بالذكر العام والخاص ، وتلاوةٌ فياضةٌ للقرآن ، وتلطفٌ إلى والدين وإخوةٍ وزوجٍ وأبناء بطيبٍ من القول ، وطيبات الأعمال ؛ لك كلُّ عملٍ شُرع للرجل ، ثم تفضُلينه بما لا قِبل له به من زاكيات العناية والرعاية ؛ أعمال الأهل والبيت التي لا يَحسُن إرجاؤها ، وما لا يتم صيامهم وقيامهم إلا به من عملك فهو من جنسه عند الله ؛ "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ" ، "فَمَن

يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ" ، "وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ" ، "وَمَآ أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ" ؛ تقدَّس الله خير الشاكرين.

لئن نسيت في هذا المقام شيئًا ؛ فلا أنسى والدتي أبهج الرحمن مهجتها أبدًا ، كم شهدتها في رمضان -طفلًا- وإن شأنها مع الله لعجبٌ! كنا أيتامًا صغارًا ، أحدنا لا عقل له أخي "حذيفة" بسط الله له صحةً وعافيةً ، أعجز عن وصف حركته -وقتئذٍ- وما يُتلف بها في البيت كيفًا وكمًّا ، وحاجته إلى اعتناءٍ خاصٍّ لا يعلمه إلا الله والذين ابتُلوا بمثل دائه في ولدٍ لهم ، ونحن -يومئذٍ- مساكين في مسكنٍ ضيقٍ نعشقه ، نملأ أوانينا -أحيانًا- من طُلُمبة الحي لشُحِّ الماء ، لا غسالة لدينا ، بل تغسل أمي -غسَلها الله من خطاياها بالماء والثلج والبرَد- على الوابور بالنَّشَّابة وما إليها ؛ ذلك كله وغيره وأمي لا تفرِّط في مضاعَف العبادة في رمضان ، لا ليلًا ولا نهارًا ؛ كانت تضع المصحف الكبير على خشبة المطبخ الصغير ، وتقرأ فيه ما تقرأ وهي جوالةٌ في البيت لا تعرف سكنًا ولا راحةً ، وتخدم جدتي -رحمها الله ورضي عنها- خدمةً نادرة المثال ، وتحفِّظنا القرآن وتكدح في ذلك ، ويتصل بها عددٌ من النساء للتعلم أو للبر أو للمواساة لا أحصيهنَّ ، وإنها لتنفق عليهنَّ من قلبها وجَهدها ووقتها ما لا تملك ؛ إلا بركةً من الله عليها وفضلًا كبيرًا ، وكانت -ولم تزل- تأبى أن تدعو أحدًا أو يدعوها إلى الإفطار في الشهر العظيم ، إلا ما اضطرت إليه اضطرارًا يملؤها كآبةً لما يفوتها من الخير به ، فإذا جَنَّ عليها الليل لم تنم إلا قليلًا ، ثم قامت فتطهرت وتطيبت وصلَّت صلاةً تَرُوق رائيها وتُعجب باريها ، وإنك لتمر بها قائمةً أو راكعةً أو ساجدةً أو جالسةً فإذا هي تنشج بالبكاء ، ثم توقظ من نام منا وتنصب في ذلك ، ثم تطعمنا السحور راضيةً مستبشرةً ، ثم

تصلي الفجر وتذكر الله بعده ، ثم تنام قليلًا لتبدأ بالضحى يومًا جديدًا في طاعة الله.

• امرأةٌ تخفُّ إلى أهلها وصاحباتها ، ثم هي تثَّاقل عن محابِّ زوجها ، شاهدٌ قلبُها مسارعتَه إليها ، مبصرةٌ عينُها إقبالَه عليها ؛ امرأةٌ فقيرة الوفاء والذكاء جميعًا ، ولا يزال جهلها وطيشها بها حتى يستحيل إسراع زوجها إليها كسلًا عنها ، وإقباله عليها إدبارًا منها ؛ فإن الجزاء من جنس العمل عند الله وعند الناس.

قالت امرأةٌ: فإن كان هو كذلك ؟ قلت: استعيني بالصبر والمروءة على نشاط سواكنه وإثارة كوامنه ، وقد آتاك الله من عوامل التأثير ما لم يؤته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما رأيت أذهبَ للُبِّ الرجل الحازم منكن" ، فإن صار لك كذلك فبها ونعمت ، وإلا فمنقوشٌ اسمُك عند الله في "حافظات البيوت".

• بين غيرة المرأة على زوجها غيرةً طبيعيةً ضروريةً شهيةً ، وبين غيرتها غيرةً سقيمة النوع بئيسة الكيف مُهلكة الكمِّ ؛ شعرةٌ دقيقةٌ ، لو أن امرأةً حلفت بين الركن والمقام أن تفسد بينها وبين بعلها البال والحال والمآل ؛ ما زادت على هذه الأُحموقة شيئًا ؛ لقد سمعنا حتى وجِعنا ، وأبصرنا حتى أقصَرنا.

ألا إن الغيرة على المحبوب ليست بآكد علامات الحب ؛ لكنها أقواها بنفس المحب أثرًا ، وأشدها عصفًا بقلبه وعقله ، حتى لتكاد تحرق منه كل عافيةٍ ؛

فإنها نارٌ في الروح كاويةٌ تضطرم ، وجحيمٌ في الفؤاد شاوٍ يتأجج ، لا يفيق صاحبها من لسْع لدغاتها حتى يُغشى عليه بلدْغ لسعاتها ، لا تبقي ولا تذر.

لقد رأيت من عظُمت غيرته على من يحب حتى منعته نومه وطعامه ، وذهبت بعامة رصانته ورشده ، فإذا هو هائجٌ من بعد أناةٍ ، معتلٌّ بغير علةٍ ، لا يبالي بكرامته عند أحدٍ وقد هانت عليه نفسه ، وكان شقاء أحدهم بغيرته على محبوبه نائمًا أعظم من شقائه بها يقظانًا ، فكان يرى -في المنام- أنه يركض خلف محبوبه ثائرًا يصرخ ، حتى إذا ظفر به نهش في جسده بأظفاره ، يعاقبه على خيالات اليقظة.

يا معشر النساء ؛ إن في كثيرٍ من المحبة من القسوة والظلم مثل ما بها من الرأفة والشفقة ، وإنها لمجتمَع الأضداد ، فمن عرفت فؤادها ضعيفًا لا طاقة لمثله ؛ فلتجنِّبه موارد المحبة الباغية ، تلك التي لا تذر من وصلٍ إلا جعلته كالرميم ، ولترمُق مبتدآت الأثرة من نفسها فتدفعها ، ولتتصبر بمولاها ؛ فإن وجع القلب خليًّا يتأرَّق أهون من وجعه شجيًّا يتحرَّق ، وبعزة الله السلامة أولًا ، وبرحمته المعافاة آخرًا.

• قالت منهن قائلةٌ: لا أجحد فريضة الخمار ؛ أنَّى أجحدها شريعةً وقد رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ -صلَّى الإله عليه- نبيًّا ورسولًا! بَيْدَ أني أكره صورتي به ، وحسبي ما أُعانيه من دَمَامَة وجهي ؛ لكن متى رضيني زوجٌ لبسته هرولةً.

يا أَمَة الله ؛ شكر الله لكِ إيمانكِ به والتصديق ، وألحق به إسلامكِ له والتحقيق.

يا بنت التوحيد ولطف بكِ اللطيف الخبير ؛ لستِ على نفسكِ في جمالكِ بقاضيةٍ منصفةٍ ، وليس جمالكِ محصورًا في جسدكِ ، وليس جمال جسدكِ محصورًا في وجهكِ ، وليس جمال وجهكِ محصورًا في جوارحه.

لستِ على نفسكِ في جمالكِ بقاضيةٍ منصفةٍ ؛ فإنكِ إذ تنظرين إلى وجهكِ تُدقّقين فيه ما لا يُدقّق غيرُكِ فيه فتُبصرين به ما لا يُبصره سواكِ ، ثم إنكِ لا تنظرين إليه بمَعْزِلٍ عن نفسكِ التي تكرهين منها فوق ما تكرهين منه ، ثم إنكِ إذ تنظرين إليه كل يومٍ مراتٍ ، فيرجع بصرُكِ بسخطكِ على وجهكِ ماقتًا وهو كظيمٌ ؛ تتراكم هذه العوائد في نفسكِ عددَ ما تنظرين إليه ، ثم إنكِ وقد فرَغ لهذا الجزء اليسير منكِ كلُّ ما أودع الله فيكِ من قُوَى التفكير والتقدير ؛ ستتعاظم في عينيكِ الباغيتين عيوبُه ، سواءٌ منها الحقيقيُّ والموهوم.

وليس جمالكِ محصورًا في جسدكِ ؛ فإنما أنتِ نفسٌ وقلبٌ وعقلٌ وجسدٌ ، ولكل ركنٍ من هذه الأركان فيكِ جانبٌ ربانيٌّ وجانبٌ بشريٌّ ، وبين يديها وخلفها من بدائع روائع تصوير الله ما لا طاقة به لميزانكِ القاصر ، وإن خُلُقًا واحدًا من أخلاق الإسلام (كالحياء والأدب والحِلم والرَّزانة وغيرها) ، لو كان يملأ طبيعتكِ ؛ فأنت جبلٌ من جبال الجمال التي يحفظ الله بأوتادها الأرض أن تميد بأهلها ، وإن عبادةً يتيمةً من عبادات قلبكِ التي كشفتْ شكواكِ عنها وهي الرضا بالله والإسلام والرسول ؛ لجديرةٌ بإدخالكِ جنةً عرضُها السماء والأرض ، قد حاز سُكَّانُها رضوانَ الله الأكبر ؛ كيف عجزتِ أن تدخلي بها جنة الرضا عن نفسكِ!

وليس جمالكِ محصورًا في جسدكِ ؛ إنما تتخايَلِين هذا لأن وجهكِ محِلُّ نظركِ المَكْرور ومقصِد اعتنائكِ الموصول ، وسبحان الخلَّاق العليم الذي نثر جمال الأجساد فيما ظهر منها وما بطن! سبحانه وتبارك!

وليس جمال وجهكِ محصورًا في جوارحه ؛ إلا أن تكون مقاييسُكِ الحاكمةُ كلُّها حسيةً ، لا موضع للمعاني فيها ؛ فأين أنتِ من البِشْر إذا علا وجهكِ راضيةً فبسط مقبوضَه وأضاء أجزاءه! وكيف وجهكِ لو أنه أحسن الوجوه حسًّا إذا كَسَتْه غَبَرَةُ السخط وقَتَرَةُ النفور! وما جَدْوَى بهاء وجه صَبُوحَةٍ حسناءَ إذا عَدِمَتْ نَدَاوة الرُّوح وسَمَاحة النفس ولَطَافةَ الفؤاد ورَطَابةَ الكبِد!

صدِّقيني أيتها الصادقة في نفسها ؛ لقد أعلم أن الله جبلكِ على التماس جلائل الجمال الحسي والاحتفاء بدقائقه النفسية ؛ لكن الناس الذين تتغَيَّيْن رضاهم عن صورتكِ ليسوا أهلًا -مهما كانت أنواعهم ، وسَمَقَتْ مراتبهم- أن ترْهنَي رضاكِ بما قسَم الله لكِ في جسدكِ أو نفسكِ برضاهم عنكِ ، ليسوا أهلًا لذلك بمُجَرَّد بشريتهم الجاهلةِ الجائرةِ ؛ كيف إذا كانوا في شغلٍ بهمومهم شاغلٍ ؛ لا يكادون يرونكِ أصلًا.. حتى يروا منكِ شيئًا.. حتى يعتنوا بما رأوه منكِ كثيرًا.. حتى يقفوا عنده مَلِيًّا! فتعزَّزي وترفَّعي ، صانكِ الربُّ وزانكِ.

يا بُنيتي ؛ قد ضارَّني حرفٌ وقع بين أحرُفكِ البيضاء في شكايتكِ الأليمة غيرَ ذي بياضٍ فآذاني ، تقولين: لكن متى رضيني زوجٌ لبسته هرولةً! أي مخلوقٍ في الوجود ذاك الذي تؤخرين لأجله ما حقُّه عند ربكِ الأكبر التقديم! أهو الرجل الذي قد يرضاكِ زوجًا له ثم يفارقكِ بموتٍ أو طلاقٍ أو اختلاعٍ منه فتَرجعين سِيرَتكِ الأولى! أم هو الرجل الذي قد تكون به من العيوب النفسية

أو الحسية بَلْهَ القوادحِ في دينه عقيدةً ونُسُكًا وأخلاقًا أضعافُ ما تشْكِين في وجهكِ! أم هو الرجل الكامل نفسًا ودينًا وعقلًا وأخلاقًا ثم هو لا ينفعكِ عند الله رضاه عنكِ كما لا يضرُّه عنده سخطه عليكِ إذا أنتِ أغضبتِ الرحمن عليكِ بخلع الخمار! من هذا الكائن الخليق بإيثار نظره إليك على نظر الإله!

يا أخت ديني ؛ هَبِي أن الله لم يَقسم لكِ في صورتكِ كلها من المَلَاحَة ما تُماثلين به الغِيد وتُسابقين به الغانيات ، هبي أن ذلك كذلك ؛ فإنما هي صورةٌ دون صورةٍ ، وإنما الصورة الحقَّة صورتكِ في عين الله اليومَ طائعةً في القانتات ، ويومَ القيامة في جنات خالص النعيم ؛ هل أتاكِ أن داخلي الجنة من المسلمين الذين دخلوا النار قبلها يُغمسون في نهر بُعَيْدَ أبوابها يقال له "نهر الحياة" ، تنبت فيه جُسُومُهم نباتًا جديدًا لائقًا بالجنة! كيف بجُسُوم أهلها الذين لم يدخلوا النار قبلها! خلَّدكِ المنَّانُ فيها غيرَ داخلةٍ قبلها النار.

• للمرأة حق الدلال على زوجها ؛ لكن بغير إسرافٍ في كيفه أو كمّه ، فإن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ، وكم من ساعات صفاءٍ أحالها طيشُ العاطفة إلى كدرٍ ؛ "قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا".

حج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بنسائه ، فلما كان ببعض الطريق برك جمل صفية رضي الله عنها ، قالت: وكنتُ من أحسَرهن ظهرًا (أعياهن دابةً) ، فبكيت ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل يمسح دموعي بردائه وبيده ، وجعلت أزداد بكاءً وهو ينهاني ، فلما كثَّرت عليه زَبَرَني (نهرني).

• المرأة هي المرأة ؛ إذا أخذت في الكلام صُرفت عما بين يديها ، وإن كان شغلًا برسول الله.

كانت زينب -رضي الله عنها- تُفلي رأس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعنده امرأة عثمان بن مظعونٍ ونساءٌ من المهاجرات ، يشكون منازلهن أنهن يخرجن منه ويضيق عليهن فيه ، فتكلمت زينب ، وتركت رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنك لستِ تكلَّمين بعينكِ ، تكلمي واعملي عملكِ" ، وفي روايةٍ "أقبلي على فلايتكِ ؛ فإنكِ لا تكلميها بعينكِ".

• هل يجوز لي وضع صورتي في صفحتي ؟ تسأله ذاتُ حياءٍ ذاتَ تقوى.

زادكِ الله على الكمال حرصًا شريفًا يا أَمَة الله ؛ خيرٌ لكِ نفسًا ودينًا ألَّا تفعلي ، كان ذلك مكروهًا أو غيرَ مكروهٍ ، ولو أن لسيدةٍ من سيدات بيت النبوة صفحةً -هنا- لم تفعل ، صلى الله على صاحب النبوة وسلم ، ورضي عن نساء بيته ، وصانكِ وزانكِ ، ولو كان سؤالكِ في الجاهلية الأولى لرجوت لكِ في هذا سعةً ، أمَا وأنتِ تسألين في الجاهلية الثانية فاللهم لا ؛ لا سعة ولا بُحْبُوحة ولا فُسحة ولا مَنْدُوحة.

قالت: كأنه خطاب السلفيين البالي ؛ "الجوهرة المصونة والدرة المكنونة"!

قلت: لا كأنه -في هذه- هو ؛ بل هو هو ، وعليكِ بالعتيق ؛ إن من وراء كل خُلقٍ شريعةٍ وإن من وراء كل شريعةٍ عقيدةً ؛ فمن دعاكِ إلى البروز خُلقًا فقد دعاكِ إلى التحلل شريعةً ، ومن دعاكِ إلى التحلل شريعةً فقد دعاكِ إلى

النَّسَوية عقيدةً ، أجل هي كما تقرأينها ؛ النَّسَوية عقيدةٌ ، يا أَمَة الله ؛ ما ضيق الرحيم الحكيم عليكِ في الظاهر يسيرًا إلا ليبسط لكِ في الباطن كثيرًا ؛ صلاحَ بالٍ وفلاحَ حالٍ ورباحَ مآلٍ.

طال جوابي ؛ عسى أن تُصَان به صفحتكِ اليوم ، وتُزَان به صحيفتكِ غدًا.



قواعد زوجية



• لا تتم سعادة الرجل في الدنيا ؛ إلا بدخول أهله معه في طاعة الله ، لذلك علَّم الرحمن عباده دعاءَه ؛ "رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ" ، أما في الآخرة فغاية سعادتهم أن يقول الله لهم -جزاءً وفاقًا-: "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ". ادخلوا الجنة بأزواجكم ؛ ويحكم إذا فرقت القيامة بينكم.

• سأل سائلٌ عن زوجه التي لا تصلي ، وقد وعظها في الله كثيرًا فلم تستجب ؛ ما الحيلة ؟

ذلك الشقاء المبين والخزي العظيم ، عياذًا بك اللهم ولياذًا برحمتك ؛ إذا كانت لا تصلي البتة ، وقد أمرتها بالصلاة واصطبرت عليها ، ووعظتها بالإحسان مرغِّبًا ومرهِّبًا زمانًا كافيًا ، وهجرتها وأدبتها بما تُستصلح به ، ولم تكن عونًا للشيطان عليها وأنت لا تشعر ، وقد استفتحت على الله أبواب هداها التي بصَّرك بها ، وهي تأبى مع هذا جميعًا أن تصلي ؛ ففارقها مدةً من الزمان ، فإن آبت إلى الله وتابت فبها ونعمت ، اللهم اللهم ، وإلا ففارقها لا خير في استبقائها ، وإن كان لك منها مائة ولدٍ ؛ "لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة" ، ومن ضيع حق الله فهو لما دونه أضيع ، ومن فقد الله فماذا وجد ؟ وما عندها من الخير بعد استدبار القبلة تحفظ به عهدك وتربي به ولدك ؟ ولِمَن شقيت بزوجٍ لا يصلي مثلُ ذلك.

اللهم ربنا لا تجعل مصيبتنا في الصلاة ، واحفظنا في حماها حتى نلقاك بها مؤمنين ؛ لا إله إلا أنت.

• ما بال أقوامٍ يجعلون عامة عطائهم لأهليهم وأبنائهم من نُخالة قلوبهم وجَهدهم وأوقاتهم ، ثم يتمنون على الله في صلاحهم الأماني ، ويرجون منهم -في معاملتهم- ما يرجو المنفقون على أهليهم وأبنائهم من رأس مال ذلك جميعًا ؟! ألم يسمعوا هذه الثلاث من ربهم أحكم الحاكمين ؛ "وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ" ، "وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ" ، "لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ"؟! ما لهم ؟! كيف يحكمون ؟!

• من طول خبرةٍ أقول: ما خرَّب البيوت مِثلُ استهلاك النساء ، واستلواح الرجال.

استهلاك النساء: إطالة أنفاسهن في الاختلاف نوعًا وكيفًا وكمًّا ، إلا من رحم الله.

استلواح الرجال: ضعف مُبالاتهم في الاختلاف بعواطف النساء ، إلا من أنجى الله.

• ليس من شرط المودة بين الزوجين ؛ معرفة كلٍّ منهما كلَّ شيءٍ عن صاحبه ، إلا أن يُحدِث طولُ صمت أحدهما في أمرٍ بينهما فراغًا واسعًا ؛ فإذًا لا يلومن إلا نفسه ، وإذًا لا يشتكي أن ملأه صاحبه بظنونٍ وخيالاتٍ ؛ ألا إن "الفراغ الواسع" في علاقةٍ كليةٍ دائمةٍ مصيبةٌ عظيمةٌ ؛ فاتقوه يا أولي الألباب.

• قال: يا أبت ؛ يقولون: لا يُطلب الاهتمام من المحبوب ؛ سواءٌ الولد والزوج والصديق وذو الرحم.

قال: يرحم الله قلبك بني ؛ بل يُطلب الاهتمام ؛ لكن من أهله الذين هم أهله ، تذكيرًا بحق الحب وإعانةً على حفظ القرب ، فيكون حينئذٍ تحقيقًا لا تخليقًا ؛ تحقيقًا لكمال المودة لا تخليقًا لأصلها ، يا بني ؛ محبوبك إنسانٌ ، مجبولٌ على الجهل والضعف والنسيان ، ومن ثبتت مودته بيقينٍ حرُم التفريط فيه بظنٍّ ، يا بني ؛ لم يزل الله يذكِّر عباده -حتى أنبياءه وأولياءه- بما له عليهم من حقوقٍ ؛ لعلمه ببشريتهم باطنًا وظاهرًا وخبرته بأحوالهم انقباضًا وانبساطًا ، يا بني ؛ ما لم يكن عتابك عرَض مرَض "التملُّك والاستحواذ" فعاتب رفيقًا جميلًا ، وما ابتغى محبوبك الخروج من سخطك بعذرٍ فاتح له سبيلًا ، يا بني ؛ ما كان حَرَمُ الحب آمنًا فادخله بسلامٍ ، أولم تُحْرِمْ نفسُك عند ميقاته بثياب القاصدين الصادقين ؟ فما عليها أن تقف بعرفاته إذًا من سبيلٍ ، ولا جناح على روحك التواقة أن تطوف بكعبته ، ولا على فؤادك الهائم من بأسٍ أن يسعى بين صفاه ومروته ، يا بني ؛ الحب كالحج عبادةٌ ، فأتمه لله وكن فيه لرسوله من المتبعين.

• ما عمرت بيوت المسلمين بشيءٍ كالإيثار ، ولا خربت بشيءٍ كالأثرة.

• نسيت أقول لكم شيء عايز أقوله من فترة ، يمكن يفاجئكم حبتين:

ممكن الأزواج يحبوا بعض عادي جدًّا ، لأ وعادي يحترموا بعض كمان.

يحبوا بعض الحب اللي هو البتاع المعروف ده ، ويحترموا بعض الاحترام إياه.

ناس كتيرة جربت الكلام ده ، ومخسروش أي شيء ، لأ وبيقولوا الحياة بتبقى ألطف.

وبيتكلموا كمان إن بالهم اتصلح أكتر ، وقال إيه قدروا يتعاونوا على أمور دينهم ودنياهم.

بس اللي فاجئني بجد ؛ بيقولوا العيال كبرت عندها انتماء أسري ، وتشوهاتهم النفسية قليلة جدًّا.

وعمومًا احنا اتجرب فينا كل شيء ، نجرب ده مرة واحدة ، لو طلع هري نرجع نبهدل بعض تاني.

• مما يزيد في الحب ؛ إشعارك من تحب بثقتك في حبه ، واطمئنانك في قربه ، وأمانك في سِربه.

- ما جمَع الزوجين إسلامٌ وعقلٌ ومودةٌ ورحمةٌ يتقلَّبان بينها ، إذا ضعُف سببٌ منها قوِي آخر ، وعرف كلٌّ منهما حدود الله وسعى في أدائها ؛ حفظهما الله بين ستره وبين جبره لقاءَ ذلك ، وأغاثهما برأفته ورحمته كلَّ جفوةٍ بينهما وجفافٍ ؛ إلا بلاءً منه يقدِّره بينهما لحكمةٍ بالغةٍ قضاها ، وهو العليم الحكيم.



المعاصي خراب البيوت



المعاصي سبب خراب البيوت

• قال الحسين بن محمد الفقيه.. رحمه الله:

سمعت محمد بن يحيى -رحمه الله- يقول: تقدم رجلٌ إلى عالمٍ ، فقال: علمني وأوجز ، قال: لأوجزنَّ لك. أما لآخرتك ؛ فإن الله أوحى إلى نبيٍّ من أنبيائه: قل لقومك: لو كانت المعصية في بيت من بيوت الجنة ؛ لأوصلت إليه الخراب.

وأما لدنياك ؛ فإن الشاعر يقول:

ما الناسُ إلا معَ الدنيا وصاحبها ** وكيفَ ما انقلبتْ يومًا بهِ انقلبوا

يعظمونَ أخا الدنيا فإنْ وثبتْ ** يومًا عليهِ بما لا يشتهي وثبوا

يا بيوت المسلمين ؛ صونًا عن السُوأى ، وعونًا على الحُسنى:

"لو كانت المعصية في بيت من بيوت الجنة ؛ لأوصلت إليه الخراب".

• "لو كانت المعصية في بيتٍ من بيوت الجنة ؛ لأوصلت إليه الخراب".

للشقاقات -في بيوت المسلمين- أسبابها النفسية والعاطفية والعقلية والمادية وغيرها ، يجب أن يفسَّر كلٌّ منها بما يليق به ، وأن يعالَج كذلك بما يليق به ، لكن تبقى المعاصي من وراء هذه الأسباب جميعًا.

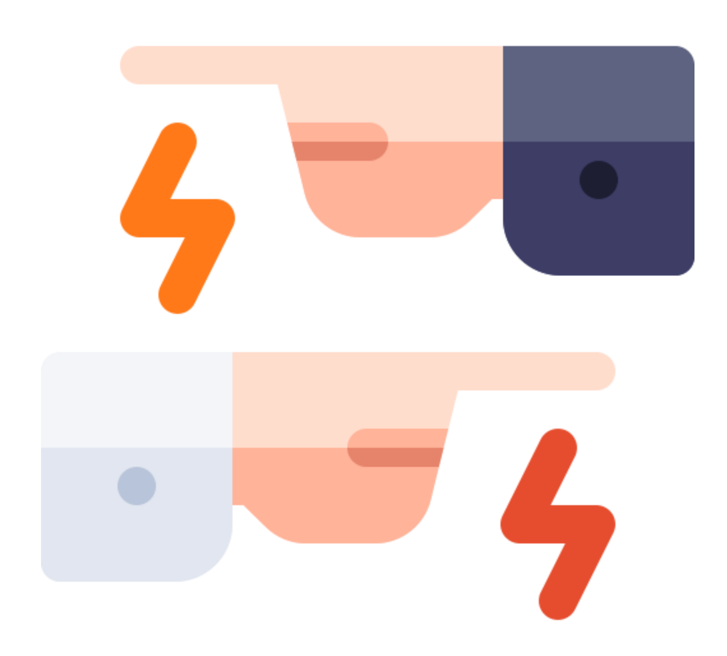
قال الله علا وتعالى: "وَمَآ أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ" ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما اختلَج عرقٌ ولا عينٌ إلا بذنبٍ ، وما يدفع الله عنه أكثر" ، صدق الله وصدق رسوله.

المعاصي هي أسباب الحرمان والخذلان الأولى في بيوت المسلمين ؛ الحرمان من الخير دقيقه وجليله ، والخذلان في الشر باطنه وظاهره ، نعوذ بالله من معاصينا وآثارها ، ونبوء إليه بها ونستغفره منها.

شكا إلي رجلٌ لا يواري معاصيه ما صار إليه قلبه مع امرأته من البؤس بعد النَّعماء ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم" ، وقلت: هذا حجرٌ صلبٌ أصمُّ فعلت فيه الخطايا فعلها ؛ كيف تفعل في قلوبٍ وأرواحٍ ؟!



الخلافات الزوجية



• بيني وبين امرأتي مسافةٌ كبيرةٌ في الطباع ؛ هل لهذا من دواءٍ ؟

بعض تحمُّلها ، وكثيرٌ من تعقلك ؛ يطويان مسافة الاختلاف بين الطباع.

ولا يعين على هذا إلا الإيثار ، وتحقيقه سعي كلٍّ منكما في جهة صاحبه.

فإذا سعيتما كلٌّ في مراضي حبيبه ؛ التقيتما ولا بد. حتمًا -برأفة الله- تلتقيان.

• لما زوجك يراضيكِ اتراضي ، ولما زوجتك تراضيك اتراضى.

خلُّوا المشاكل بينكم -ربنا يسلمكم- (Ping-Pong) ؛ مش أكتر خالص.

ما لِك ؟ حصل منَّك كذا ، ما لَك ؟ حصل منِّك كذا. وفقط.

جنون والله أي شيء يعطل كل شيء ؛ شُغل أُولى خامس وتالتة رابع.

(اللي موراهوش شغلانة تشغله ؛ بيفتح الشباك ويقفله).

طول ما مفيش قضية شايلينها سوا ؛ هتتسلَّطوا على بعض حرفيًّا.

متخليش زوجتك قضيتك الوحيدة ، ومتخليش زوجك قضيتك الوحيدة ؛
لازم تكون بينكم اهتمامات مشتركة ، ولكل واحد منكم اهتماماته الخاصة بيه.

فرح أي طرف منكم بكونه قضية التاني الوحيدة ؛ طفولة في الحب ، ومش بتكلم عن الحب الوحيد للمرأة لأنه ده الطبيعي ، ولا للرجل لأن قلبه قابل لحب واتنين وتلاتة واربعة ولو فيه جَواري فقشطة جدًّا ؛ بتكلم عن القضية.

اتعلموا سوا ، اتعبدوا سوا ، اهتموا بمصالح المسلمين الربانية والبشرية سوا ، العبوا سوا ، اخرجوا سوا ، حركوا كل اللي سَكن بينكم هيتحرك والله.

متسجنوش نفوسكم في عناوين بتكرارها طول الوقت ؛ فإن ما تكرَّر تقرَّر ؛ هي: أنا زعلي وحش! هو: أنا غضبي وحش! ده (ربانيًّا) كلام فاضي ؛ لأنه لا زعلِك ولا غضبه الوحشين هيسقَّطوا التكاليف ، وسعادِتك وجَنابه هتتحاسبوا على كل تصرفاتكم في كل حال ، وعلى فكرة اللي بيزني بيزني عشان شهوته وحشة ، واللي بيقتل بيقتل عشان غضبه وحش ؛ فإيه رأيكم! أما (بشريًّا) فدي أنانية وأنانية قبيحة ، مهما غلِّفها كل واحد منكم بغلاف الحب ، طظ في زعلِك الوحش طالما اتجوزتِ وأنجبتِ ، وطظ في غضبك الوحش طالما اتجوزت وأنجبت ، أو احترموا نفوسكم ومتتجوزوش ، أو اتجوزوا ومتخلفوش! ما هي مش أرحام بتِدفع وأرض بتِبلع ، كفاية عالإسلام من أبناؤه. واخجلاه من دين الله!

حقيقي الطواغيت كفرة عشان مبدِّلين الشريعة بقوانينهم الوضعية ؛ بس ربنا يستر عالمسلمين لو اتحكِّمت فيهم الشريعة من أمراضهم القلبية ؛ إنا لله.

بيوت الإسلام مش معصومة من المشاكل ؛ لكن بتِفرق جدًّا في نوعها وكَمَّها وكَيفها ، وفي الآخر بتِتجبر وتِتسر ؛ بالدين ، لو ضعُف يبقى الحب ، لو ضعُف يبقى الرحمة ، لو ضعُفت يبقى العقل ، لو ضعُف يبقى المروءة ؛ لازم بتتحل.

أما لو فيه أطفال ، وشايفين نموذج معالجتكم للمشاكل (الاستهلاك) ؛ فحسبكما طغيانًا عليهم توريثُكما إياه توريثًا عمليًّا ، وهو الأخطر آثارًا لو تفقهان.

واحدة كل مشكلتها عند زوجها انها مسترجلة (بمنطقها ، ولَّا مجادلتها ، ولَّا صوتها) ؛ ركزي فيها يا غالية طالما ربنا بصَّرك بيها ، واشتغلي على نفسك بكل طريقة فيها ، وهتتعافي منها بعزة الله ورحمته ؛ مش انت عازمة على التغير لله ولرسوله وللإسلام قبل ما يكون لزوجك ، ثم لزوجك المستحق للتغير من ألف وجه ، ثم لأولادك اللي هيتعلموا منك تغيير نفوسهم للأفضل! لو متغيرتيش (بمعنى انك مش بتتطوري خالص للأحسن) ؛ يبقى انت وحشة فعلًا.

واحد كل مشكلته عند زوجته انه مش بيقتطع من يومه وقت مخصوص ليها ، بينما بيقتطع لغيرها عادي جدًّا ؛ ركز فيها يا صديقي طالما ربنا بصَّرك بيها ، واشتغل على نفسك بكل طريقة فيها ، وهتتعافى منها بحول الله وقوته ؛ مش انت عازم على التغير لله ولرسوله وللإسلام قبل ما يكون لزوجتك ، ثم لزوجتك المستحقة للتغير من ألف وجه ، ثم لأولادك اللي هيتعلموا منك تغيير نفوسهم للأفضل! لو متغيرتش (بمعنى انك مش بتتطور خالص للأحسن) ؛ يبقى انت وحش فعلًا ، ولازم تفهم إن قدرتك على التغير ضِعف قدرة المرأة ؛ لأن ربنا قال في نوعك: "وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةً" ؛ فجنسك أسبق من جنسها في العقل والدين ؛ فإن لله في كل تشريفٍ تكليفًا يناسبه نوعًا وقدْرًا ؛ روح قلبي.

حبيبي ؛ حَسبك في التغير بالتي هي أحسن للتي هي أقوم ؛ صيانة نفسك في الدنيا والآخرة عن السوء ومشابهة أهله ، ولأختي مِثلُه ، واستعينا الله.

شَغلكما الله بمَراضيه التي تصلحكما معاشًا ومعادًا ، وأعاذكما أن تُشغلا بنفسَيكما فتُهلكاها وأبناءكما ، ويكون بقاء بيتكما صوريًّا لا حقيقيًّا ، ولسان حالكما: ما بقاء صورة الحياة بيننا ؛ إلا لِدَرْأ أعظم المفسدتين! أغاثكما الله.

• قال: كيف أخالف امرأتي العاطفية فيما يجب أن أخالفها فيه ، وأنا أحبها حبًّا شديدًا ؟

قلت: رضيكما الله ؛ بتعقلٍ عاطفيٍّ ؛ "الحقيقة عاقلةٌ والصورة عاطفيةٌ" ؛ "لا" وأنت معانقها.

• وددتُ -وربي الودودِ- لو حفظها كل زوجين:

بعضُ المعاركِ في خسرانها شرفٌ ** مَنْ عادَ منتصرًا مِنْ مثلها انهزما

يقسو الحبيبانِ قدرَ الحبِّ بينهما ** حتَّى لتحسَبُ بينَ العاشقَينِ دما

ويرجعانِ إلى خمرٍ مُعتَّقةٍ ** منَ المحبَّةِ تنفي الشَّكَّ والتُّهَما

جَدِيلَةٌ طرفاها العاشقانِ فما ** تراهما افترقا إلَّا ليلتحما

في ضمَّةٍ تُرجعُ الدُّنيا لسُنَّتها ** كالبحرِ منْ بعدِ موسى عادَ والتأما

هذا الجمالُ الذي مهما قسا رَحما ** هذا الجمالُ الذي يستأنسُ الألما

أبياتٌ رائقةٌ فياضةٌ أحبها ؛ لتميم البرغوثي الذي لا أحبه.

كلما جَرَحَ القلوبَ شجارٌ أو قَرَحَ الأرواحَ شقاقٌ ؛ أبرأها من بلسم طب الحب هذا الترياق.



الطلاق

• لا يخلو "الطلاق" من رحمةٍ من رحمات الله ؛ لكنه على الجملة بلاءٌ شديدٌ ، وعقوبةٌ من عقوبات الذنوب والمعاصي ، ولعل في ورود هذه الآية ؛ "وَكَأَيِّن مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا" -من سورة الطلاق- عقب آيات أحكامه ؛ إشارةٌ إلى ذلك.

إنها آيةٌ تقول: إن سنن الله في مجازاة خلقه (آحادًا وأممًا) بالحسنات والسيئات ؛ واحدةٌ لا تتبدل.

• إن امرأةً يطلقها زوجها فتبغِّضه إلى أبنائها -وإن استحق بعض ذلك- لأسيرةٌ للشدة وسوء الحال ، ضعيفة البصر بالحياة والمآل ، كيف لا تدع عورةً إلا هتكتها ، ولا خطيئةً إلا نشرتها ؟! وقد تزيد -بإيقاد الشيطان وشُحِّ النفس وتحريش الناس- ما يعلم الله أنه منه براءٌ ؛ لبئس ما قدمت لنفسها وبنيها.

كم شهدت في حياتي امرأةً أسرفت في تبغيض مطلِّقها إلى أبنائه ، وأعانها على ذلك أهلها أجمعون ، ودأبوا فيه مدةً طويلةً من الزمان ، بنوعٍ وكيفٍ وكمٍّ لا يعلمه إلا الله ؛ حتى بات الرجل في أخْيِلَة أبنائه شيطانًا مريدًا ، ثم آل أمرهم إليه في سلسلة مقاديرَ للعليم الحكيم كثيرةٍ كثيفةٍ ، فكأنهم -يومئذٍ- يساقون إلى الموت وهم ينظرون! ولو استقبل هؤلاء المسكينات من أمرهن ما استدبرن ، ولو فكَّرن في عواقب الأمور وقدَّرن ، ولو فضَّلن أبناءهن على أنفسهن وآثرن ، لو كان ذلك كذلك ؛ ما فعلن ، ولقد كفانا

مولانا صلاحَ البال والحال والمآل بمُحْكَم ما قال: "يَآ أَيُّهَآ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ".

هذا حرفٌ لا يكلِّف المرأة شططًا ؛ أن تُجمِّل قبائح رجلٍ كان معها كذلك ، ولا أن تبالغ في مواراة جناياته لا سيما الذي أظهر الله ديَّانًا مبينًا ، بل حرفٌ يقول: لا تكوني -يا أمَة الله- لسوء حالك أسيرةً ، وتجاوزي الشهادة إلى الغيب فقيهةً خبيرةً ، واعلمي أن لليل والنهار في نفوس الناس أعمالًا ، وفي تقلبات أمورهم أحوالًا ؛ فأقيمي الوزن بالقسط ولا تُخسري الميزان ، واحتسبي عند الله مطويَّ الوجع والأحزان.



التعدد

• حروفٌ في التعدد ؛ من الوحي والواقع جميعًا.

- أباح الإسلام بعامَّةٍ للرجل الزواجَ بأكثرَ من امرأةٍ.

- حُكم التعدد الخاصُّ يختلف باختلاف الرجال وأحوالهم.

- طلبُ المرأة الأولى الطلاقَ بسبب التعدد (فقط) ؛ لا يجوز لها.

- إذا سألت المرأة زوجها الطلاق لضررٍ خارجٍ عن التعدد ؛ جاز لها ذلك.

- بغض النساء التعدد (طبعًا) أمرٌ طبيعيٌّ وصحيٌّ ، أما بغضهن إياه (شرعًا) فكفرٌ.

- ترجيح التعدد راجعٌ إلى الزوج وحده ، فيوازن بين حاله قبله وحاله بعده ؛ (بالورقة والقلم).

- ليختبر الرجل العاقل رغبته في التعدد في مدةٍ كافيةٍ وعلى أحوالٍ متباينةٍ ؛ قبل أن يعزم عليه.

- قبل أن يُنصح الرجل بجُوانيَّات التعدد ؛ يُنصح له برَّانيًّا بتنقيح وزن حاجته الحقيقي إليه ، فكم رأينا من رجالٍ أحوجَهم إلى التعدد فراغُ البال مما يجب أن يشغله ، وخلاءُ الحال مما يتعين التحقق به!

- من كان صالح البال والحال مع امرأته الأولى وأبنائها ، ثم ابتغى التعدد (رفاهيةً) ، وهو يعلم ما يجرُّه من أضداد ذلك ؛ فخفيف العقل ، وقياسُ التعدد على المباحات الرفاهية الأخرى قياسُ المساطيل.

- إذا ترجح للرجل التعدد عن غير رغبةٍ عارضةٍ ، وقدَرَه حقَّ قدره ؛ فليتوكل على الله ، راجيًا منه مغانمه ، متعوِّذًا به من مغارمه ؛ فإنها ليست أرحامًا تدفع وأرضًا تبلع ؛ بل الله مولى مُؤْنة التوفيق.

- إذا هان التفريط في اختيار المرأة الأولى على أساس الدين (ولا يهون)؛ فإن اختيار الثانية على غير أساسه مصيبةٌ عظيمةٌ من كل وجهٍ، وعائدٌ على الرجل في نفسه وبيتَيه جميعًا بخسائرَ لا تُحصى.

- لم يجئ الإسلام بالتعدد فقد كان معروفًا في الجاهلية وفي الأمم السابقة؛ لكنه أحكَمه إحكامًا.

- لا يقول: لم لا تعدد المرأة أزواجها كذلك؛ إلا من خسف الكفر بفطرته وعقله جميعًا.

- من جبر امرأته الأولى عند التعدد بهديةٍ ونحوها مما تُتحف به؛ فنبيل النفس رحيم الفؤاد.

- جبرُك خاطرَ امرأتك الأولى عند التعدد شيءٌ، وقبولُك إلزامَها أو أهلِها بذلك شيءٌ آخر.

- تجاوُز امرأتك الأولى عن تفريطك في حقها وأبنائها؛ ينقطع عند الساعة الأولى من الزواج الثاني.

- رضي الله عبدًا جعل من امرأته القديمة امرأةً حديثةً؛ يُجدِّد منها ما بَلِيَ، يعينها على إصلاح ما طرأ على هيئتها بعد تكرار الحمل والولادة، فيبعثها في نفسها وفي نفسه بعثًا جديدًا؛ رضيه الله.

- ليس التعدد رسالةً تقول للأولى: أنا زاهدٌ فيكِ، أو رغبت عنكِ، أو مللت الحياة معكِ، بل لعله رسالةٌ تقول: قد استفدت بظلالكِ في نفسي وعقلي وقلبي شيئًا عظيمًا، أريد أن أخطو به في مسافةٍ جديدةٍ، وقد بسط الله لي ما لو بثثتُه فلم أجحده كان أصلح لي بالًا وحالًا ومآلًا؛ فأرضيني أرضاكِ الله.

- مناقشة المرأة الأولى في التعدد دينيًا وعقليًا -قبل وقوعه أو بعده ؛ ابتغاءَ إقناعها- ضربٌ من ضروب البلاهة ؛ فأما قبل التعدد فلا كلام ، وأما بعده فالإحسان المضاعف ، وأحسن إحسانك إلى امرأتك تجاوزك عن إساءتها ، وإعانتها بالرأفة على نفسها وعلى شيطانها وشياطين الإنس من حولها.

- تبريرك التعدد لزوجك الأولى بما صارت إليه من ضعفٍ في نفسها أو جسدها أو حالها ؛ قبيحٌ دميمٌ ، وأشدُّ منه أن تحدِّث بذلك زوجك الثانية ، وأشدُّ منهما ألا ترعوي إذا ذُكِّرتَ بالله فتماديت ولم تتذكر.

- من عدَّد فعدَل فبيَّض الله في الدارين وجهه ؛ كما زاد وجه الإسلام بياضًا.

- مُعدِّدو النساء -إلا قليلًا- لا يصلحون للزواج الأول أصلًا.

- يبقى التعدد (على قدْره ، ووجهه ، لأهله) ؛ من مفاخر هذا الدين.

- لم يُغفل الإسلام وجع المرأة الأولى بالتعدد ؛ لكنه أوسعُ بصرًا بمصالح التعدد في عموم الناس والحياة ، وعامة المباحات غالبة المنافع لا خالصة ، وقد جاء الإسلام بجلب المصالح أو تكميلها ، وبدرء المفاسد أو تقليلها ، ومن احترم عقله أثنى على الإسلام بإباحة التعدد وإن كان به كافرًا.

- لم يدَع الإسلام في حق المرأة قولًا لقائلٍ ؛ بل أنصفها غاية الإنصاف ، وجعل عقاب ظلمها في الدنيا والآخرة عقابًا أليمًا ، حتى جعل مجرد ظنِّ الظلم مانعًا من التعدد ؛ "فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً".

- كم من ظالمٍ لامرأته من غير تعدد ، وكم من مقسطٍ إليها مع التعدد!

- العدل بين النساء في المحبة والتَّماسِّ غير واجبٍ ، وتصريح الرجل بالثاني دَنَسٌ وحرامٌ.

- العدل واجبٌ في كل ما يقدر الرجل عليه ؛ مما يجب عليه أو يستحب أو يباح ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وبه أدين الله أحكم الحاكمين.

- لا فرق -في القسْم- بين الحائض والنفساء والمريضة ، وبين من لسن كذلك.

- لم يرفض الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يتزوج عليٌّ امرأةً أخرى على فاطمة ابنته -رضي الله عنهما- وحاشاه ؛ بل رفض أن تكون المرأة الثانية لعليٍّ هي ابنة أبي جهلٍ لعنه الله.

- "ليس منا من خَبَّب امرأةً على زوجها" ؛ حَسْب إناث شياطين الإنس اللواتي يُفسدن المرأة على زوجها -إذا تزوج عليها- من السوء في الدنيا والآخرة ؛ براءةُ نبي الله -صلى الله عليه وسلم- منهن.

- تركيز الفجرة على حق المرأة الأولى ؛ يُشعرني أن الزواج الثاني كائنٌ برجلٍ لا بامرأةٍ مثلها ، وقد تكون حاجة الثانية إلى الزواج أعظم من حاجة الأولى يوم تزوجت ، ومن سار في الأرض عرف.

- اعتبار سعة الرزق قبل التعدد شأنُ العقلاء ، وإغفاله شأنُ الدراويش ، ولا ينافي ذلك التوكلَ على الله.

- "الزانية ولا الثانية" ؛ كذلك تقول الجاهلية الحديثة ؛ قاتل الله الكفر ومن يعين عليه.

- تكره المرأة التعدد وحُقَّ لها ، ولعل التعدد أن يكون بركةً عليها وعلى أولادها من جهة حذَرها فواتَ حظوظها من زوجها ، وكم رأينا في التعدد من إثارة سواكن مودَّات القلوب -في برودة العِيشة المألوفة- ما بعث في البيوت خوامدَها وحرَّك جوامدَها! "وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ".

- من يمزح بالتعدد حينًا ويهدد به أحيانًا ؛ طفلٌ بائسٌ ، لعله إن بلغ الحُلُم يومًا بلغ الرُّشد إن شاء الله.

- المرأة التي تُبغِّض زوجها إلى نفسها وأبنائها وأهلها والناسِ بمجرَّد التعدد ؛ بهَتك سيئاته وكشف عوراته ، وبالزيادة فيها كثيرًا ؛ امرأةٌ لم يُربِّها رجلٌ ، وهي مع ذلك ظالمةٌ تنتظر جزاء الله العدل ، ولا يغفر لها عند الله افتراءَها على زوجها ما أَوقدت الغيرةُ في قلبها من نارٍ.

- "زوَّجتني زوجتي ، زوَّجتُ زوجي" ؛ عناوين معاتيه المجانين ، سلفيّين وغيرِ سلفيّين.

- يفرِّط الرجل (صُوريًّا) في البيت الأول (بتضييع حقوقه) ، ويفرِّط (حقيقةً) في البيت الثاني (بالطلاق) ؛ هذا عامة ما رأيناه في الواقع الأسود ، وبالله الغوثُ من الظلم كلِّه ؛ دِقِّه وجِلِّه ، علانيتِه وسرِّه.

- لا أنصح لامرأةٍ -مهما عظُمت حاجتها- أن تتزوج رجلًا يخفي زواجها عن امرأته الأولى ؛ ذلك وَطَرٌ عاجلٌ يوشك إذا قُضي أن تضيع من بعده ، ولقد أبصرنا من الدواهي في هذا ما الله به عليمٌ ، وإن من عجز أولَ أمره عن احتمال هذا الامتحان ؛ لَهُو أعجز عن احتمال ما فوقه من امتحانات الحياة.

- المرأة التي لا تُنجب ، ومع ذلك تهدد زوجها بطلب الطلاق إذا تزوج عليها ؛ غارقةٌ في الأَثَرَة (الأنانية).

- تَحَسُّسُ المرأة أخبارَ ضُرَّتها من ضعف الديانة والأمانة ، وهو من أعظم ما تُكدَّر به النفس والحياة ، ولو فقِهت نفسَها -قبل دينها- لقطعت كل وسيلةٍ بينهما ، ولألزمت زوجها ألا ينقل شيئًا عن إحداهن إلى الأخرى ، إلا ما قد يشاء الله بالتدرج بعد هذا شيئًا فشيئًا بين البيتين بلُطفه الكريم ، ولا ينقل أخبار البيتين بينهما إلا معدِّدٌ مهينٌ.

- يا أيها المعدِّد ؛ افصل بين امرأتيك ، وصِل بين أبنائك. كيف ؟ هي وظيفتك أنت.

- إنما الحاجة الحقيقية للرجل قبل أن يعدِّد ؛ إلى زيادة الدين والعقل ، لا إلى زيادة العاطفة ؛ دينٍ يستوهب به من الله التوفيق في نفسه وأهله وأبنائه ، وعقلٍ يدير بحكمته تقلُّباتِ العافية والبلاء ، وإذا كانت النساء في صورة أمرهن مفتقراتٍ إلى شدة عاطفة الرجال ؛ فإنهن في حقيقة أمرهن مفتقراتٌ إلى ذكائهم العاطفي ، والفرق بين شدة عاطفة الرجل وبين ذكائه العاطفي واسعٌ كبيرٌ لمن تأمَّل.

- أُخوِّف المرأة الأولى مطاوَعة نفسها وشيطانها في تعدد زوجها ؛ بل تتأنَّى وتتروَّى لا تغرُّها عافية اليوم ، رُبَما تود يومًا من الأيام أن تكون زوجًا ثانيةً فلا تجد ، والجزاء من جنس العمل ، "وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ".

- غيرة المرأة طبيعيةٌ وضروريةٌ ؛ ما لم تتعدَّ حدَّ الله ، أو تُزري بنفسها فتكون أُحْدُوثَةَ الناس.

- المرأة الثانية التي تعرف للبيت الأول قدْره وتحفظ رُتبته وتعين زوجها على الوفاء له كمالًا تمامًا ؛ صِدِّيقةٌ يُناطح نُبلُها الجَوزاء ، وتُزاحم مروءتُها الشمسَ في الجلاء ، ومن لا ؛ فلتستعن مولاها.

- يسألونك عن بيتٍ بقي مَحِلُّه بين المودة والرحمة بعد التعدد ؛ قل: هو موجودٌ ؛ لكنه قليلٌ قِلَّةَ كلِّ شيءٍ جميلٍ في هذه الحياة الدَّميمة. وإني لأعرف رجالًا لو أباح الله لأحدٍ بعد رسوله الزيادة على أربعةٍ ؛ لكان لهم ، لا لشيءٍ إلا لكمال عقولهم وعظمة أخلاقهم واستعانتهم بالله على التسديد والمقاربة ، ومن قبلُ ومن بعدُ عَمَار ما بينهم وبين الله.

- لست أعجب من حرب العاهرين على التعدد ؛ فإنهم لا يعرفون الزواج الأول حتى يعرفوا الثاني ؛ لكنَّ العجب الذي لا ينقضي من حرب الطاهرين إياه! لبئس ما أشبهوا به أعداءَهم لو كانوا يفقهون.

- المرأة التي لا يظلمها زوجها بالتعدد ظلمًا كليًّا عامًّا ، وهي مع ذلك تؤزُّه أزًّا ليطلق الثانية ؛ جائرةٌ جانيةٌ على نفسها قبل ضُرَّتها في الدنيا والآخرة ، وأخشى أن يُسلَّط عليها زوجُها إذا فرَغ بعد الطلاق لها.

- الرجل الذي يطلق الثانية لأجل الأولى بغير علةٍ إلا رضاها ؛ وغدٌ سافلٌ عليه من الجبَّار ما يستحق ، وإن وفَّى لها حقوقها المادية ، ويوشك أن يجُور على الأولى كما جار على الثانية جزاءً وِفاقًا.

الحمد لله على الإسلام عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا، والبراء إليه من الجاهلية عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا، وهو المستعان على حق التسليم له في هذا الزمان الرَّهيب.

• تالله ما عادى النساءَ مِثلُ النساء.

بالله هل للأرامل والمطلَّقات -وما أكثرهنَّ!- سوى التعدد!

الآن تزأر النساء ، ويَخبِطْنَ عشواء.

وَيْحَ النساء! كأنما التعدد منفعةٌ خالصةٌ للرجال من دونهنَّ.

لو أن لي دعوةً مستجابةً ؛ فإنها:

ربِّ اجبر بالتعدد كسور نسائنا ، واجعل له من الرجال أهلين.

لست أكتب مُكايِدًا ؛ بل إنه تذكرةٌ.

أمَا تتقي امرأةٌ تحارب التعدد يومًا تفتقر فيه إليه فلا يكون!

تكره المرأة التعدد وحق لها ، ولعل التعدد أن يكون بركةً عليها وعلى أولادها من نفس جهة حذرها فواتَ حظوظها من زوجها ، وكم رأينا في التعدد من إثارة سواكن مودَّات القلوب -في برودة العيشة المألوفة- ما بعث في البيوت خوامدَها وحرَّك جوامدَها! "وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ".

• لا أنصح لامرأةٍ مسلمةٍ -مهما عظُمت حاجتها- أن تتزوج رجلًا يخفي زواجها عن امرأته الأولى ؛ ذلك وطرٌ عاجلٌ يوشك إذا قُضي أن تضيع من بعده ، ولقد أبصرنا من الدواهي في هذا ما الله به عليمٌ ، وإن من عجز أولَ أمره عن احتمال هذا الامتحان ؛ لهو أعجز عن احتمال ما فوقه من امتحانات الحياة.

ألا من بين الرحمن لها هذا من رجلٍ ؛ فلتعتبر به ، والله يعوِّضها خيرًا منه ، تبارك الله خير الجابرين.

• من غَرْزٍ طويلٍ في مشاكل الناس ؛ أؤكد:

معددو الزوجات -إلا قليلًا- لا يصلحون للزواج أصلًا.

ويبقى التعدد (على قدره ووجهه لأهله) ؛ من مفاخر هذا الدين.

• أسلمُ ما قيل في التعدد 😂:

أعوذُ بربِّ الناسِ منْ كلِّ زوجةٍ ** على زوجتي الأولى فلستُ مُجَنَّنا

فإنْ كانَ في التشريعِ "عَدِّدْ" فإنما ** عقيدتُنا "التوحيدُ" فلتكُ مؤمنا

سلام الله على المستضعفين.



للوالِدين



• هذه أحب أسماء الذكران والإناث إلي نفسي ، لا أوثرها على ما اصطفى الله -عزَّ ثناؤه- واجتبى رسوله -صلى الله عليه وسلم- من أسماء في الكتاب والسنة:

نوح ، هود ، إلياس ، هارون ، كاظم ، ريَّان ، مروان ، نايف ، غسَّان ، رائف ، رحيم ، تَيم ، إياس ، ثامر ، زُهير ، همَّام ، نبراس ، هتَّان ، أمجد ، إيلاف ، رشيد ، رابح ، ساجد ، ضامر ، يامن ، رائد ، قائد ، ظافر ، شاهر ، معاوية ، آصف ، أصيل ، راجح ، آسر ، لَيل ، يمَام ، يمَان ، نائل ، ناصف ، نعمان ، عابد ، عنان ، غياث ، غيث ، فياض ، قيس ، هشام ، حيَّان ، داغر ، زاجل ، سوار ، مُضَر ، دُلامة ، أَوس ، آمر ، زُلال.

لطيفة ، آسية ، هند ، سماء ، رواء ، حواء ، لمى ، نغم ، صَبا ، آصال ، عائشة ، بنان ، هَيَا ، صباح ، سرَّاء ، أسماء ، دِيمة ، كَرْمة ، خيرات ، درة ، رفيف ، صالحة ، سيرين ، أهلَّة ، جُلنار ، رُبى ، خديجة ، عفراء ، هالة ، مودة ، عزيزة ، غاية ، كفاح ، مارية ، رُوح ، بروج ، لؤلؤة ، غالية ، مَيْس ، إشراق ، طيبة ، جميلة ، جهاد ، دانة ، سمية ، ميسون ، جُمَان ، نضال ، ليلى ، مسرَّة ، عَنود ، لينة ، بيلسان ، إيلاف ، أديبة ، نقاء ، مريم ، علياء ، رضوى ، ريانة ، نبيلة ، مِيرة ، سلمى ، نُسيبة ، رحيق ، إباء ، إيثار ، جيداء ، رهف ، هُتون ، مليحة.

منَّ المنَّان على عُزَّاب المسلمين بالزواج الساتر الجابر إنه رحيمٌ قديرٌ ، وتحنَّن الحنَّان على من لم ينجب منهم بعدُ بالذريات الطيبة إنه جوادٌ سميع الدعاء.

• قوُّوا بطيبات الأقوال والأعمال ظهور أبنائكم ؛ لا خير فيما نترك من أموالٍ لبنين إذا لم يكونوا لحملها أهلًا ، "وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا".

• ربوا أبناءكم لهم ولكم ؛ أخطأ في هذا أبوان وأصاب أبٌ ؛ أبٌ ربَّى ولده له حتى كأنه لا حق لولده عليه ، وأبٌ ربَّى ولده لنفسه حتى كأنه لا حق له على ولده ، وأصاب أبٌ ربَّى ولده له ولنفسه جاعلًا لكلٍّ قدرًا.

• وإن تعجب فعجبٌ أمر إنسانٍ عانى من خلقٍ سيءٍ لأبويه -أو أحدهما- ما عانى ، فكان يقول في نفسه: لو أن لي أبناءً ما خالقتهم بهذا الخلق الباغي ، فلما أحسن الله إليه بالزواج ثم منَّ عليه بذريةٍ طيبةٍ ؛ نسج على منوال والديه ، وأتى إلى أبنائه ما كان يمقت من قبلُ ، وأعجب من ذلك تبريره لنفسه جنايته.

ويحك! أولم يكن قلبك قاسى بهذا الخلق السيء ما قاسى ؟! أولم يشوِّه في نفسك ما شوَّه ؟! أولم تكن أقسمت من قبلُ لا تؤذي به أبناءك ؟! اليوم تستنسخه كيفًا وكمًّا! اقطع إسناد ظلم آبائك وصلك الله.

• قال الوالد: يا بني ؛ إذا جعلك الله -غدًا- والدًا ؛ فإياك وظلم ولدك.

عجب الولد: أو يظلم والدٌ ولده وقد طبعه الله على رحمته ؛ يا أبت ؟!

قال الوالد: القاصدون ظلم أبنائهم قليلٌ ، وهم في ظلمهم متفاوتون ؛ من أمٍّ تشوِّه ولدها -إذ تعيِّره بنقائصه- مريضةً ممسوخةً ، إلى أبٍ يهتك عرض ابنته شاذًّا خنزيرًا ، وبين تلك وذاك أنواعٌ ودركاتٌ.

أما ما يقع من عامتهم -بغير وعيٍ به ولا قصدٍ له- فأكثر من أن يُحصى ؛ أبٌ يفسد عيشة ولده إذ يريده شبهه في كل شيءٍ حتى النَّعل ، وأبٌ يُكره ابنته على الزواج بمن لا ترضى ثقةً مطلقةً برأيه الفذِّ ، وأبٌ يأمر ولده بتطليق امرأته -بغير سلطانٍ من الله- يحسب نفسه الفاروق رضي الله عنه ، وأبٌ يهدد ولده بالغضب عليه -بمجرد مخالفته- وإن كان جاهلًا جائرًا ، وأمٌّ تأبى إلا مشاركة ابنتها حياتها الزوجية جميعًا إلى تفاصيل الفراش ، وأمٌّ تطغى في مال ولدها بغير حقٍّ إلا أنها أمه الواجب أن ينقاد لها ، وأمٌّ تُحني ظهر ابنتها في خدمتها بما يخرج عن استطاعتها النفسية والحسية ، وأمٌّ تدعو على ابنتها لأهون شيءٍ ؛ كأن من تدعوه -سبحانه وتعالى- ليس على كل شيءٍ شهيدًا! عظُم كل ذلك عند الله ظلمًا.

قال الولد: قد كنت أحسب -قبل الساعة- أن طاعة الأبناء أباءهم ؛ مطلقةٌ غير مقيدةٍ ؛ يا أبت.

قال الوالد: بل فيها التفصيل بني ؛ إن كان ما يأمر به الآباء عينَ ما أمر الله ورسوله به فله حكمه ؛ الواجب واجبٌ والمستحب مستحبٌّ ، وفعله حينئذٍ أعظم درجةً لعلوِّ مقام الآباء شرعًا وقدَرًا ، وإن كان المأمور به من جنس ما يأمر الله ورسوله به -مما تُدرأ به مفاسد المعاش والمعاد ، أو تُجلب به

مصالحهما- فهو مشروعٌ ، وإن كان شيئًا جائزًا ومستطاعًا للأبناء (نفسًا وحسًّا) فالطاعة فيه واجبةٌ ، وإن كان شيئًا جائزًا (مع المشقة النفسية أو الحسية المحتملة) فالطاعة فيه مستحبةٌ ، وإن كان شيئًا جائزًا (لكنه غير مستطاعٍ نفسًا أو حسًّا) فلا تجب فيه الطاعة بل تُكره ، وإن كان شيئًا جائزًا (لكنه مضرٌّ للأبناء في أنفسهم أو أجسادهم أو أموالهم أو بيوتهم أو أعمالهم) فالطاعة فيه محرمةٌ ، وإن كان شيئًا ممنوعًا بالشرع أو بالعُرف الصحيح فلا طاعة فيه ، وعلى الولد التلطف بوالديه وإن خالفهما.

قال الولد: فما على الأبناء إذا نهاهم آباؤهم عن شيءٍ ؛ يا أبت ؟

قال الوالد: فيه التفصيل بني ؛ إن كان ما ينهى عنه الآباء عينَ ما نهى الله ورسوله عنه فله حكمه ؛ الحرام حرامٌ والمكروه مكروهٌ ، وتركه حينئذٍ أعظم درجةً لعلوِّ مقام الآباء شرعًا وقدَرًا ، وإن كان المنهي عنه من جنس ما ينهى الله ورسوله عنه -مما تُدرأ به مفاسد المعاش والمعاد ، أو تُجلب به مصالحهما- فهو ممنوعٌ ، وإن كان شيئًا جائزًا (وسهُل على الأبناء تركه) فالطاعة فيه واجبةٌ ، وإن كان شيئًا جائزًا (وشقَّ على الأبناء تركه مشقةً محتملةً) فالطاعة فيه مستحبةٌ ، وإن كان شيئًا جائزًا (لكن تركه مضرٌّ للأبناء في شيءٍ) فالطاعة فيه محرمةٌ ، وإن كان شيئًا واجبًا فالطاعة فيه محرمةٌ ، وإن كان شيئًا مستحبًّا (ولم يكن نهيهم عنه تعنتًا) فالطاعة فيه مشروعةٌ ، وعلى الولد التلطف بوالديه وإن خالفهما.

قال الولد: أفرأيت -يا أبت- إن كان المأمور به أو المنهي عنه ؛ مما اختُلف فيه ؟

قال الوالد: إن كان ما يأمر به الآباء أبناءهم أو ينهوهم عنه محلَّ خلافٍ بين الفقهاء ؛ ففيه التفصيل ؛ ما اعتقد فيه الأبناء الوجوب أو الحرمة بطريقٍ صحيحةٍ (شروط المفتي والمستفتي) ؛ فلا طاعة لآبائهم في خلافه ، وما لم يكن كذلك فليسدِّدوا فيه وليقاربوا ، وعلى الولد التلطف بوالديه وإن خالفهما.

قال الولد: قد كنت أظن علاقة الآباء بالأبناء علاقةً تعبديةً إنسانيةً سائلةً ؛ يا أبت.

قال الوالد: رحمك الله بني ؛ هي من وجهٍ كذلك ، وأندى وأجمل من ذلك ، ومن وجهٍ آخر "علاقةٌ حقوقيةٌ" ؛ لكلٍّ منهم ما له وعليه ما عليه ، وإن حقَّ الأبناء على آبائهم لهو الأسبقُ خلقًا وأمرًا.

قال الولد: رضي الله عنك يا أبت ؛ قد جلَّ في نفسي حقُّ ولدي علي من قبل أن يهبنيه ربي ؛ لكنني أخشى -الآن- أن أفرِّط في حقك أنت ؛ بعدما فصلت لي في أحكام طاعة الآباء ومعصيتهم.

قال الوالد: يا بني ؛ هذا حرفٌ يُعظِّم برَّك بي -على رَشَدٍ وإحسانٍ- لو فقهت دقائقه ، يا بني ؛ إن برًّا مقتصدًا تنالني من قلبك حقيقته ؛ أحبُّ إلي من برٍّ وافرٍ تتكلف جوارحُك صورتَه ، وإن كل متكلَّفٍ إلى زوالٍ ، يا بني ؛ اتَّبع أحسن القول تكن عبدًا مهديًّا ، يا بني ؛ إن الذي أنزل الكتاب وضع الميزان.

• يا معشر الآباء والأمهات ؛ جُدُّوا في إرضاء أبنائكم بأنواع المباحات فيما تستطيعون ، وتجاوزوا رضاهم إذا عارض رضا الله ورسوله ، وما تجاوزتم فيه رضاهم -لله ورسوله- فبينوا لهم أسبابه بما يعقلون.

قُتل أبي في سبيل الله -تقبله الله وأعلى درجته- ونحن أطفالٌ ، وتولت عامة أمرنا من الناس والدتي وحدها ، وكانت أمي -رضي الله عن أمي- تشتد علينا في مواطن -ليس من أمر الدنيا ؛ فما ضربت أحدَنا في مالٍ ضاع أو شيءٍ أُتلف قطُّ- ويغلب عليها الحنان والرفق في سائر أمورنا ، أصابت في الشدة كثيرًا وأخطأت قليلًا ، وكانت تحدثنا كثيرًا عن أسباب شدتها هذه التي تكره ، مِزَاجُ حديثِها دموعُها تنساب من مُقلتيها ، فنصفو لها -عندئذٍ- باطنًا وظاهرًا ، حتى إذا عُوتبت في هذا من أحدٍ ؛ قالت قولًا حفظه عقلي صغيرًا ورضيه قلبي كبيرًا ؛ إلى أن ملأ نفسي عقيدةً أثبُت عليها وأدعو إليها ، كانت تقول: "قلوب أولادي مش بإيديهم ، قلوبهم بإيد ربنا ، بكرة ربنا يبصَّرهم أنا بشدّ عليهم في كده ليه" ، فأحلف بالله لقد برَّها ربُّها فيما قصدت ، وكبرنا راضين عنها رضًا ليس كمثله رضًا ؛ نتذاكر ما سلف منها فينا جميعًا فنقبله جميعًا ، وندعو لها به جميعًا ، ونحن نحبها -إلى الساعة- كأشد ما يحب أطفالٌ أمهاتهم ، ونرجو لها من كمالات المعاش والمعاد فوق ما نرجو لأنفسنا ، وهي -بحمد الله ثم بحمدها- راضيةٌ عنا أجمعين ، وهذا والله الستر السابغ والفضل البالغ وعطاء ربِّنا بينهما غير محظورٍ ، ليس في صحائفنا -بعد الإسلام لله- ما نرجو بركاته في الدنيا والآخرة مثلُه ؛ لا عاقبنا الرحمن بما نستحق في مثقال ذرةٍ من رضاها.

الفائدة معشر الآباء والأمهات ؛ تحرَّوا رضا أبنائكم ما قدرتم ، لكن ما تعارض ورضا الله فلا تبالوا برضاهم ، وأرضوا فيهم ربَّهم ومولاهم ؛ فإن الله يرضى عنهم ويُرضِّيهم عنكم ، برًّا إذا يُثيب شكورًا.

تمام الفائدة ؛ ما جاوزتم رضا أولادكم في شيءٍ لله ولرسوله ؛ فعلموهم لم فعلتم ، وكلموهم في ذلك بما يعقلون ، وتحببوا إليهم -كلما فعلتم- بما

تستطيعون ؛ أن تُبغِّضوا الله ورسوله إليهم وأنتم لا تشعرون ، كما نهى عن مثله عمر -رضي الله عنه- أصحابه يومًا ، قال: "لا تُبغِّضوا الله إلى عباده" ، قال قائلٌ منهم: وكيف ذلك ؟ قال: "يكون الرجل إمامًا للناس يصلِّي بهم ، فلا يزال يُطوِّل عليهم ؛ حتى يُبغِّض إليهم ما هم فيه ، أو يجلس قاصًّا ، فلا يزال يُطوِّل عليهم ؛ حتى يُبغِّض إليهم ما هم فيه" ؛ جبركم الله فيهم.

• قال: من أبخل الناس يا أبت ؛ أكرمك الله الأكرم وأكرم بك ؟

قال: أعاذك الله من البخل دِقِّه وجِلِّه يا بني ؛ أبخل الناس من وهبه الله ولدًا في زمان فتنٍ متواترةٍ ليس كمثلها فتنٌ ، ثم ضَنَّ عليه بركعتين -جَوْفَ كلِّ ليلةٍ- يستوهب الله في طُول سجودهما نجاتَه من الفتن شهواتٍ وشبهاتٍ ، وعِصمتَه من عُصَب السوء والضلال باطنًا وظاهرًا ، وأن يصنعه على عينه للإسلام وأهله لا قادرَ على هذا إلَّاه تعالى ، وأن يعينه على الحكمة والرَّشد في تربيته ، وأن يفتح له في التوفيق في تأديبه فتحًا مبينًا ؛ لا يزال يُلِحُّ على الله في نسائم الأسحار -والله أقرب قريبٍ- حتى يستجيب له.

يا بني ؛ إن للتربية الصالحة أسبابًا ربانيةً وأسبابًا بشريةً ؛ فأما الربانية ؛ فصلاح حال الآباء والأمهات مع الله اعتقادًا وعبادةً ، وتعاونهم على البر والتقوى ، وتواصيهم بالحق والصبر ، وحُسن المعاشرة فيما بينهم ، وبذل الندى إلى الناس والتوسع فيه ، ودعاؤهم لأبنائهم مخلصين تضرُّعًا وخُفيةً ، والتوبة الدائمة إلى الله من التفريط في القُرُبات ومن مقارفة الآثام ، وإحسان الظن به -سبحانه- أن يهَبَهم فيهم قرَّة أعينٍ ، وأما البشرية ؛ فتعلُّم ما يستطيعون تعلَّمه من فقه التربية ، وفهم ما بين الذكران والإناث من الفروق

الباطنة والظاهرة ، ومعرفة أنماطهم النفسية ، وما يصلح لهم في كل مرحلةٍ ، والحكمة في معاملتهم بوضع الرفق موضعَه والعنف موضعَه ، وإن عامة الناس جهلاء بالأسباب البشرية أو عاجزون عنها ، وإن عليهم تعلُّمها والتبلُّغ بها قدْر ما يستطيعون ؛ لكن الله يجبر بالأسباب الربانية كسور الجاهلين العاجزين عن الأسباب لأخرى ، ويهديهم ببركاتها للتي هي أقوم ؛ تبارك الله خير الجابرين.

يا بني ؛ قد صارت تربية الأبناء في هذا الزمان من عَويصات الأمور ، لا حول ولا قوة فيها إلا بالله العزيز الحكيم ، هو مولاها والمستعان عليها وحده ؛ وإنا لفي غربةٍ ليس لها من دون الله كاشفةٌ ؛ أفيُدرك بعضَ ذلك ذو عيالٍ ، ثم يشحُّ عليهم بركعتين لا يبرحهما يستمنح الله بهما صلاحهم! اللهمَّ اللهمَّ.

• ما أحسنتْ إلى ابنتها أمٌّ لا تعوِّدها الحجاب شيئًا فشيئًا ؛ مُحبِّبةً مُرغِّبةً ، وبَغَتْ على ابنتها أخرى تعوِّدها كشف محاسنها حريصةً على ذلك ؛ كأنما أُمرتْ به من الله أمرَ إيجابٍ فالمغبونة لا تفرِّط فيه!

يا نساء المؤمنين ؛ إن الله محاسبٌ بناتكن -إذا بلغن المحيض- على فرائضه ؛ كما يحاسبكن ، فإذا جرت أقلام التكليف عليهن -بعد بلوغهن- ولم يُعوَّدن التزام حدود الله قبله ؛ فبئس ما قدَّمتم لهن حقًّا.

"علِّموا أبناءكم الصلاة لسبعٍ" ؛ عامٌّ هو أمرُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كل فريضةٍ يُسأل فيها الأبناء بعد بلوغهم ؛ ذلك فِقْهُ الذين أوتوا العلم ، وفطرةُ الذين صان الله قلوبهم أن تضل وتَخزى.

ترى كثيرًا ممن يفرِّطن في هذا ملتزماتٍ! شقَّ عليهن آباؤهن في التكاليف صغيراتٍ فتطرَّفن في الجهة الأخرى كبيراتٍ ، فوسَّعن -غيرَ واعياتٍ- ما ضيَّق الله ، ونِعْمَتِ السعة والله ما ضيَّق الله.

ما الخمار صورةً من قماشٍ تواري به الحرائر ما حقُّه الإكْنان ؛ بل هو حقيقةٌ من حقائق الستر الجميل ، لا للمرأة وحدها ؛ بل للجماعة المسلمة كلها ، ولَبِنَةٌ من لَبِنَات بناء حياءٍ حفيظٍ شيَّده الإسلام.

كل بنتٍ تولد على التستر ؛ فطرةَ الله التي فطر البنات عليها ، ثم إذا شاء الآباء رعاية فطرة الله حقَّ رعايتها فعلوا ولهم الحسنى من الله ، وإن شاؤوا فرَّطوا فيها فجرَت عليهم في التفريط سنة الله.

"الحجاب حجاب القلب" ؛ كذلك يقول المتهتكون الدُّعَّار ، يحفرون بين الظاهر والباطن خنادقَ تردمها حقائق الوحي والفِطَر والواقع كل ساعةٍ ردمًا ، فأما الأطهار فيعلمون ما لله من قوانينَ بينهما.

"وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباطٌ ومناسبةٌ ؛ فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرةً ، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورًا وأحوالًا" ؛ ابن تيمية.

المؤمنون يدخلون في دين الله كافةً ، والمنافقون يضربون بعضه ببعضٍ ، يقول الأولون: الحجاب في ظُلَلٍ من العقائد والشرائع والأخلاق ، ويقول الآخرون: المحجبات خيرٌ أم المثقفات السافرات!

الإناث والثناء ؛ يفعل الإطراء في نفس الأنثى فعل السِّحر ، وليس ذلك بعيبٍ فيها ، إنما البَلِيَّة أن تُنَشَّأ الأنثى على ثناءٍ زائفٍ بمحاسن جسدها ؛ هنالك تذْبُل محاسنها القلبية والعقلية في نفسها وتُذْوَى.

هي هي المفرّطة في حجاب ابنتها ، وما بين يديه وما خلفه من معاني الستر الجميل والحياء الحفيظ ؛ مَن تُفيق على درجةٍ من صفاقة ابنتها لم تخطر على قلبها يوم فرَّطت فيه ؛ ولاتَ حينَ مناصٍ.

يا نساء الإسلام ؛ هذا حرفٌ لا يزيّن العنف في تعويد بناتكن هذه الشريعة الحسناء ؛ بل يذكِّركن أن الخير عادةٌ ، وأن الستر بالتستر ، وأن حق الحياء الذي صوَّر الله البنات عليه الحفظُ والحراسة.

• مشروع التَّدْكَرَبَطِّيَّة: هو مشروع إحالة الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم -بأنواع الرفاهية السالبة والموجبة وألوانها- إلى دُكُور بطٍّ ؛ لا يحرِّكون ساكنًا ولا يسكِّنون متحركًا حَذَرَ البهدلة ، ولا يكادون يحسنون نظرًا أو عملًا فَرْطَ الدهولة ، ثم يسابقون بهم إلى الزواج لا يرتابون في تأهُّلهم له طرفة عينٍ ، ثم يحاسبونهم إذا أخفقوا فيه قليلًا أو كثيرًا ، عاجِبين كيف هذا وما فرَّطوا في تَدْكَرَبَطِّيَّتِهم من شيءٍ!

• ما أفادني أحدٌ مع الله ولا في نفسي ولا في الناس ؛ كما أفادتني النبيلة أمي آسية محمود.

مع الله ؛ قلت لها مرةً -وأنا أتهيأ لخطبة جمعةٍ-: ادعي لي بالإخلاص يا أمي ، فأجابت على الفور: إخلاص في إيه ؟ احنا بنعمل إيه أصلًا -يا ابني- عشان نسأل فيه الإخلاص ؟

في نفسي ؛ غلبني يأسي من نفسي قديمًا ، فقلت لها -جاهلًا-: هممت أسأل ربنا البلاء ليحول بيني وبين المعاصي! فقالت لي: اللي قادر يجيب سؤال البلاء يجيب سؤال العافية ، والعافية أحب إليه.

في الناس ؛ مرة كنت راكب أنا وهي عربية صديق لي ، وزوجته معاها في الخلف ، وبتكلم وامزح كتير معاه ، فلما نزلنا قالت لي: لما تكون في مكان فيه زوجة صديق ؛ اقتصد في الكلام والمزاح ، فلعلك أن تكون أطلق لسانًا وأظرف مزاحًا من زوجها ، فتؤذيه وأنت لا تشعر.

دروس أمي -في جامعة آدابها الفريدة- أكثر من أن تُحصى ، وأجلُّ من أن تُستقصى.

ولو قصدت إلى عدِّ ما تعلمته من لحظها قبل لفظها ؛ ما بلغت -وربي- منه شيئًا.

اللهم إني أكل إليك شكرها وأنت خير الشاكرين ، شرِّفني بعظيم برِّها حتى ألقاك.

نشيد قلبي ولساني وجوارحي لأمي ؛ لا أحب إلي بعد أمي من أمي ؛ سوى أمي.

أطال الرحمن عمرها ، وأحسن عملها ، وغفر ذنوبها ، ومتعها بالعافية ، وختم لها بخيرٍ.

• مما ربَّتني به الوالدة الماجدة -أبهج الله في الدارين مُهجتها- ألا أكون لعادةٍ أسيرًا.

آكُل متى أُعِدَّ الطعام ، وأشرب الشاي وأتركه ، وأغتسل بالماء الساخن والبارد ، وأنام على وسادةٍ وبدونها ، وفي ظلامٍ ونورٍ ، وفي سكونٍ وصَخَبٍ ، وأكوي ثيابي وأدَعُها ؛ فلأمي الحمدُ من بعد الله.

ربَّتني بما ربَّتها به جدتي نوَّر الله ضريحها ، وكنت على كثيرٍ من بدائع روائع جدتي في فقه النفوس شهيدًا ، وكانت تقول: تذكَّروا الأسرى والمجاهدين ؛ فنفعني الله بهذا في الشدة والرخاء نفعًا وسِيعًا.

في "لاظوغلي" سنة ٢٠٠٢ ؛ رأيت مشهدًا يا ليتني متُّ قبله وكنت نسيًا منسيًّا ؛ دخل علينا في البادروم الذي كنا نُحجز فيه أمينُ شرطةٍ -لا رحم الله فيه وأمثالِه مَغْرِزَ إبرةٍ فما دونها- يتجرَّع كوب شايٍ ، فما إن رآه أخٌ لنا حتى سأله -في خزيٍ منقطع النظير- شربةً منها ، لو أَبَى هذا اللعين -يومئذٍ- مناولتَه الكوب ؛ لكان أبردَ لكبدي الحَرَّى ؛ لكنه -والغوثُ بالله- ناوله الكوب! قلت: قَتَل الله إسَار العادات.

في مدرسة الإسلام والحياة ووالدتي ؛ وعيت وَصاة نبي الله -صلَّى عليه وسلَّم- لمعاذٍ -رضي الله عنه- حين وجَّهه إلى اليمن: "إياك والتنعُّم ؛ فإن عباد الله ليسوا بالمتنعِّمين" ، وعقلت قوله -بأبي هو وأمي-: "البَذَاذَة من الإيمان" ، والبَذَاذَة التَّقَحُّل ، وفقهت ما يُروى عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "تَمَعْدَدُوا ، واخْشَوْشِنُوا ، وانْتَضِلُوا ، وامشوا حُفاةً" ، وفطنت كيف جعل طبيب النفوس ابن القيِّم -رحمه الله- العادات من حُجُب القلوب عن مولاها ؛ فالشكر لله بالإسلام والحياة وأمي ؛ لا تكن لعادةٍ أسيرًا.

• إني والله لأحسد أمًّا وأبًا لهما طفلٌ متوحِّدٌ أو معتلٌّ بأي علةٍ عقليةٍ ، أحسدهما حقًّا من وجوهٍ ربانيةٍ وبشريةٍ كثيرةٍ ؛ فأما الربانية ؛ فما خصَّهم به الله من هذا البلاء الشديد المديد ، وما أدراكم ما الرُّزء في ثمرات الأفئدة ؟ أم كيف به إذا كان في عقولهم ؟ كذلك ما يحقِّقهم به -سبحانه- من أنواع العبادات فيعرِّضهم بها لصنوف الأجر ، مع ما يُسقطه عنهم -تعالى- من مؤنة التربية بإسقاط التكليف عن أبنائهم ؛ بضعف عقولهم أو ذهابها ، ولو لم يكن لهم في بلائهم هذا ؛ إلا أنهم لا يسألون عنهم -يوم التغابن- سؤال عامة آباء العقلاء المكلفين عنهم ؛ لكفى ، وأما البشرية ؛ فما يفيض الله على قلوبهم من الرأفة والرحمة والرفق والتحنان ، وعلى عقولهم من النظر والتأمل والفهم لصفات الله وآثارها في حياة أبنائهم ، وعلى نفوسهم من الصبر والاحتمال والأناة والحِلم والجلادة ؛ إنه لقدَرٌ لو يفقهون كريمٌ.

قال قائلٌ منكم: هذه حروفٌ رومانسيةٌ أجنبيةٌ تجود بها عاطفة من لم يجرب مواساةً وتسليةً! قلت: لا والله ؛ قد تصدق علينا ربنا المنان -علا وتعالى- ببلاء أخي الأكبر "حذيفة" في عقله "ضمور المخ" منذ أربعين سنةً إلا قليلًا ، صورة شقيق روحي وحديث أنفاسي بأول تعليقٍ ؛ الله خليفتي عليك يا حذيفة يرعى روحك وجسدك حفيظًا مقيتًا ، هو أولى بك مني ومن والديك ومن العالمين برًّا رحيمًا ، واشْوِ اللهم بجهنَّمك لحوم من حالوا بيني وبين رعايته ، وحرَّموا علي عينيَّ الاستضاءة بإشراق وجهه الحبيب.

إني لأحلف بالله ؛ ما ذقنا نعيمًا بعد الإسلام أطيب من حذيفة ، ويحسب الناس أنا المحسنون إليه! هو والله المحسن إلينا المتفضل علينا ، ليت ربي الوهاب يبسط لي مقامًا أوسع من هذا ؛ فأحدثكم بأعاجيبَ من ألطافه

الحِسان أصابنا بها من لدنه في حذيفة ؛ حذيفة ، ما حذيفة ؟ وما أدراكم ما حذيفة ؟ قطعةٌ من نهارٍ وضَّاءٍ طلع -ساعةَ رضاءٍ- على بياض نهر لبنٍ في الجنة لم يتغير طعمه ، إنا لننظر إليه -الآن- ساكنًا بعد حركةٍ عظُمت وطالت ثلاثة عقودٍ ، ساكتًا لا يتكلم بعد حياةٍ ملأها كلامًا شهيًّا وصخبًا نديًّا ، ننظر إليه كذلك ؛ فنبكي بكاءً يهدُّ أفئدتنا هدًّا ، نتذاكر عقود الحركة الطائشة والحديث الزاعق فنأسى.

يا معشر من جاد الكريم عليهم بهذا ؛ أُعيذ قلوبكم بالله أن تحسب السعة ضيقًا ، وعيونكم أن تشهد اللطف هَمَلًا ، وأن تستغرقكم الشهادة فلا تستشفُّوا الغيوب ؛ "طفلٌ متوحِّدٌ في البيت صخابٌ يدور ؛ عطاءٌ من الله لأهله غيرُ محظورٍ" ، "طفلٌ يابسٌ في مكانه لا يكاد يُبين ، رأفةٌ خالصةٌ من خير الراحمين".

احمدوا الله حمدًا كثيرًا ، واستعينوا به بكرةً وأصيلًا ، وأبشروا في القبض ببسطٍ مزيدٍ ، واذكروا ما يدفع الله عنكم من أنواع مِحَنٍ أعمَّ وأطمَّ ، وتصبروا ؛ متعكم الله بهم في جواره على الكمال والتمام.

• "التربية بالمزاج / بالغزالة" ؛ هذا النمط من التربية الفاسدة ؛ من أوسعها انتشارًا ، وأقبحها آثارًا.

إذا صفا بال الوالدين -أو المربّين بعامَّةٍ- سمحوا لأبنائهم بأي شيءٍ حتى ما لا يُسمح به ، وإذا تكدَّر بالهم منعوهم أي شيءٍ حتى ما لا يُمنع. دوران السماح والمنع في هذا النمط على "المزاج" وحسب.

يرثه الولد عن أبويه وراثةً ، ويربي به ولده كما تربى هو به ، أما ما يخلِّفه من اضطرابات المزاج والشعور والعاطفة والعقل ، وما يُكسبه في النفس من الأثرة (الأنانية) وغيرها ؛ فحدث ولا حرج.

يزيد الطين بلةً تبرير عامة هؤلاء لأبنائهم تناقضاتهم إذا واجهوهم بها ؛ لئلا يظن الصغار بالكبار الجهل والطيش ، فيُحكِموا الجناية بذلك على منظومة الأخلاق الفطرية نظرًا وعملًا. رباه وفقنا أجمعين.

• يا أيها الآباء والأزواج والأصدقاء والأرحام والمعلِّمون ؛ عُدة المعالجة غير عُدة المحاسبة.

أبٌ يضرب ولده على إتلاف جهازٍ اليكترونيٍّ نفيسٍ ، وكلما تذكر ماركة الجهاز "اليابانية" ؛ أمعن في ضربه صارخًا في وجهه: "ده ياباني يا ابن الكلب .. ياباني" ، يزعم أنه يعالجه!

أمٌّ تهتك عيب ابنتها عند جدتها وخالاتها وصاحباتها ؛ حتى تصيبها بآفةٍ نفسيةٍ ، تزعم أنها تعالجها!

زوجٌ يهجر امرأته هجرًا قبيحًا في خطأٍ نهاها عنه مرارًا ؛ حتى يوحِشها منه ، يزعم أنه يعالجها!

صديقٌ يحرج صاحبه بين الناس ؛ يعاقبه على إساءةٍ خاصةٍ ، فيفسَد ودُّهما ، يزعم أنه يعالجه!

أخٌ يؤثر صديقه على شقيقه في اللهو والتنزه طويلًا ؛ مجازاةً على إيذاءٍ سابقٍ ، يزعم أنه يعالجه!

معلِّمٌ تبلغه عن طالبٍ مشاهدة مادةٍ إباحيةٍ ، فلا يعظ من بلَّغه بالستر إلا أن يكون مستصلحًا ، ويدعو الطالب فيعيِّره بذنبه ، وربما فضحه ؛ تنكيلًا بما قارف من إثمٍ ، يزعم أنه يعالجه!

مسلمٌ يحظر أخاه في الإسلام هنا ؛ انتقامًا منه إذ خالفه رأيه وأطال جداله ، يزعم أنه يعالجه!

لقد تعظُم هذه المحاسباتُ الأخطاءَ نفسها ، وأعظم منها دعوى أصحابها المعالجة ، وأعظم من دعواهم ما يحتجون به جهلًا من شرعٍ وعقلٍ ، وإن للمعالجة روحَها ومنطقَها وعُدَّتها ؛ أفلح السُّمحاء الراشدون.



بر الوالدين



- من استطاع منكم أن يملأ عينيه من والديه قبل ذهاب نورهما برحيلهما ؛ فليفعل.

تأمل قول ربك -علا وتعالى-: "عِندَكَ"! في قوله: "إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا".

هما عندك أو أنت عندهما ؛ لا تبرح -إلا لمولاك- قدميهما ، وأكثر -على الإحسان- زيارتهما ، وانظر بمودةٍ ورحمةٍ إليهما ، ولا تؤثر زوجًا ولا ولدًا ولا صاحبًا عليهما ؛ هما أولى وأحلى وأعلى وأغلى.

- "تبسمك في وجه أخيك صدقةٌ" ؛ كيف بها في وجهَي أبويك ؟!

تمسك إحداهن بدُميتها فتبتسم في وجهها الجامد ، وأحدهم يجود بابتسامته على الأقارب والأباعد ؛ فإذا دخلا على أولى الناس ببهجتهما عبسا ، فإن لم يعبسا لم يتبسما ؛ أولئك الفقراء المحرومون.

قد أعلم أنه ليس كلُّ عبوسٍ من عقوقٍ ، وأن بعضه من فرَط الشواغل والهموم ، وأن منه ما لا يُقصد صدقًا ؛ لكنَّ ولدًا يعرف افتقار فؤادَي أبويه إلى ضَيِّ ناظريه ثم يضنُّ به عليهما ؛ شحيحٌ قلبه.

كيف إذا كان يحسن تكلُّف هذا لمصلحةٍ من مصالح نفسه ومعاشه إحسانًا عجبًا ؟ ويقول: الضرورة!

أما نبلاء الأبناء فينفقون على قلوب آبائهم من سماحة نفوسهم وإن بهم ما بهم ؛ أولئك فقهاء النفوس ، الخبراء بالحقائق ، العالمون كيف يثيب الله ؛ على الكريم -وحده- جزاؤهم وهو خير الشاكرين.

إني لأطيل النظر إلى وجه أمي -نائمةً- خوفَ أن تنام قبلي نومةً أخيرةً ، ولقد كنت أقول لنفسي -في السجن-: لعل زمانك الذي تقضِّيه هنا اضطرارًا هو مجموع زمانٍ بعُدت فيه عن والدتك اختيارًا.

أما تلك التجاعيد المجيدة في وجهها المشرق ؛ فعلَّام غيوب القلوب -وحده- يعلم ما فتكُها في قلبي.

أيها الطيبون ؛ كونوا بررةً أوفياء ، بررةً أوفياء كونوا ، لا أحقَّ بإحسانٍ من جوانحكم وجوارحكم -بعد الله ورسوله- من آبائكم. لقد أقام الله الحجة على قلوبنا جمعاء في معاملة المحبوبين ؛ فنحن مع من نحب -من أزواجٍ وأبناءٍ وأصحابٍ- على أحوالٍ مرضيةٍ ؛ فمن أولى بعطاء قلوبنا من آبائنا ؟ وإن خير العطاء ما كان على جَهد الأنفس وتقطّع الأنفاس ، "وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ".

تلك الوالدة التي تتجهَّم -كبيرًا- في وجهها ويعطف قلبك من يعطف على التبسم لها ؛ لم يوصها ربٌّ ولا نبيٌّ بالتبسم لك ، ولو أوصياها -حاش لله ورسوله مثل هذا- ما وجدت على طاعةٍ عزمًا.

بل بشرها الله بحملك فتبسمت ، وكلما آمنك الله -في بطنها- تبسمت ، ومهما يشق حملك على كل شيءٍ فيها تبتسم ، ويوم وضعتك -وهي أقرب إلى الآخرة من الدنيا- تبسمت ، وليلةً بتَّها باكيًا -وهي ذات وجعٍ- تبسمت ، وأخرى سهرتها مريضًا -وراحتُها مشتهاها- تبسمت. ولو قيل لها -يومئذٍ- احتسبي جَهدك عند ربك ؛ لقالت: وإن لم أحتسب شيئًا. لا يخطر على قلبها أنك تكافؤها كبيرًا ، ولا ترجو على عطائها جزاءً ولا شكورًا ؛ بل تحنو -كلما تحنو- لك ، لك أنت ، أنت وحدك ، لا مزيد عليك.

ذلك الوالد الذي تحاسبه -اليوم- على ما ضاق من خلقه واحتدَّ من طبعه فتكْلَح في وجهه ؛ كان حسبُه -بالأمس- إذا رجع من عمله -وقد كدَّ ما كدَّ وأُهين ما أُهين- أن يراك فيبتسم ، كانت ابتسامتك ما يهوِّن عليه كَبَدَ العيش في بلادٍ أهون ما عليها رجالها ، كم ذاق فيها -أو بغيرها إذا اغترب- ما ذاق لأجل الإنفاق عليك! وما إنفاق ماله بأغلى مما أنفق من نفسٍ وكرامةٍ وعافيةٍ ، كل ذاك لتبتسم أنت. أنت ما أنت كيف أنت ويحك! انظر إليه مبتسمًا في وجهه ؛ أثابك الله نظرًا إلى وجهه الكريم.

- "وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا".

"وَإِن جَاهَدَاكَ" ؛ الوالدان اللذان ركَّب الله فيك التأسي بهما طبيعةً ، الوالدان معًا منقلبان على الأبوة والأمومة في أعظم واجباتهما ، الوالدان الواجب عليهما وقايتك النارَ وما يقرب إليها من قولٍ وعملٍ ؛ لا يعرضان عليك الشرك ، ولا يأمرانك به ؛ بل يجاهدانك مجاهدةً عليه.

"عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي" ؛ لا على معصيةٍ ، ولا على مظلمةٍ ، ولا على بدعةٍ ؛ بل على الإشراك بالله رأسًا ، على الإشراك بالله الأحد ، على الإشراك الموجب لشقاء الدنيا والآخرة.

"مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" ؛ ما لا علم لك به عن الله من أحدٍ ، ما يخالف عقلك وفطرتك في وحدانية ربك.

"فَلَا تُطِعْهُمَا" ؛ هذه والله العجب! وهي التي أردت من الآية ، كيف لا يقال للولد في أبوين يلزمانه بالكفر إصرارًا وإلحاحًا: فاعصهما ؟ وهو أيسر ما يقال له في جناب التوحيد.

أولًا: مقام الوالدين أجلُّ وألطف من أن يقال للولد فيه: اعصهما ، وإن كان في توحيد الله تعالى.

ثانيًا: ذكر الشيء المحبوب -ولو منفيًّا- يشير إليه ويحض عليه ؛ ألا ترى أن الله -سبحانه- يخبر عن كرهه لمن استحق كرهه بنفي المحبة ، وذلك في القرآن كله ، فيقول -تعالى- في الكافرين والظالمين والمفسدين ونحوهم: "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ" ، لا يقول: إنه يكره ، فيذكِّر من يكره بمحبته لعله يتحرك إليها.

ثالثًا: لما كان الأصل في الولد المؤمن طاعة أبويه ؛ عُومل هذا الاستثناء بقدره ، فكأن الله -تمت شريعته- يقول له: احفظ عليك طاعة والديك ؛ إلا حيث أكره .. "فَلَا تُطِعْهُمَا".

يا ذا الجلال والإكرام ؛ رضينا بك وبالإسلام مزيدًا ، ونستغفرك من عقوق آبائنا ونتوب إليك.

• "حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ" ، "حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا".

ما كان ضعفًا يسيرًا ؛ بل ضعفًا بالغًا ، ولم تكُ مشقةً واحدةً ؛ بل مشقاتٍ كثيرةً.

أضعفتْ قوتها لتقويك ضعيفًا ؛ كيف تقوى على ضعفها -اليومَ- كبيرًا ؟! وهل جزاء احتمالها المشقات موصولةً ؛ إلا احتمالك وصلَها بحبال التيسير من قولك وعملك ؟ الوفاء لائقٌ بك عبدًا نبيلًا.

• "وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا".

لا يجتمع صادق البرِّ بالوالدة ، والتَّجبُّر على عباد الله.

برُّ الوالدة خفضٌ لجَناح الذُّلِّ من الرَّحمة ؛ فأنَّى يجتمع والعُتُوُّ على الخلق ؟!

• "الزمها ؛ فإن الجنة عند رجليها" ؛ فتوى رسول الله لصحابيٍّ له.

الجنة التي سقفها العرش عند قدَمَي والدتك ؛ ما يبقي لك من جوٍّ تُحلِّق فيه إذا سخطت عليك ؟!

• "الخالة بمنزلة الأم" ؛ قالها محمدٌ صلى الله عليه وسلم.

ظلُّ الأمومة ممدودٌ في جميع جهاتها ؛ طوبى لمن استظل ، وويح من لفَحَه حرُّ العقوق.

• "أمك ، ثم أمك ، ثم أمك" ؛ لما كانت الأمومة إيجادًا وإعدادًا وإسعادًا ؛ جاءت الوصية بها ثلاثًا.

• قال: ماتت أمي منذ خمس عشرة سنةً ، وقد كبرت ، ولا أزال أذكرها فأبكي!

قلت: ستبقى تذكرها كلَّ خوفٍ ، وكلَّ ضعفٍ ، وكلَّ وجعٍ ، وكلَّ حيرةٍ ، وكلَّ خذلانٍ ؛ حتى تلقاها.

• أفمن يأتي والديه -إذا طلباه- مشيًا ؛ كمن يأتيهما هرولةً ؟ لا يستويان.

إن استطعت ألا تؤخر جواب والديك -إذا اتصلا بك- إلى الرنة الثانية ؛ فافعل.

يوشك أن تنقطع أصواتهما بموتهما ؛ يومئذٍ لا يَصِلُ كل اتصالٍ من كل أحدٍ ما انقطع من نفسك.

تحبَّبوا إلى أولادكم بأطايب أحاديثكم إذا هاتفتموهم ؛ يحببكم الله ويحبِّبكم إليهم.

يا بني ؛ عاصفٌ بنفسي أن تتثاقل عني ، وأنت تخفُّ إلى من دوني.

لله البررة الأوفياء المحتسبون.

• لا عقوق للوالدين كالبرِّ في سخط الله.

ألا إن حقَّ برِّ الوالدين أن يُعْصَيَا في طاعة الله.

قلب من ترضيه بإسخاط الله ، في يد الله ؛ فاستوهبه منه.

لكن ما خالفت والديك لتوافق الله ؛ فكن في المخالفة شَفُوقًا عَطُوفًا.

• تأمَّل المناسبة العظيمة بين هاتين الآيتين في سورة العنكبوت ؛ "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا" ، وسبِّح الله!

لما وعد الله عباده المؤمنين بتكفير سيئاتهم وزيادة حسناتهم ؛ ذكر أعظم أسباب وعده هذا من أعمالهم الصالحة ؛ "برُّ الوالدين" ، وإن تكن هذه الحقيقة قد ألمح القرآن الكريم إليها إشارةً ؛ فقد صرَّحت بها السنة المشرَّفة عبارةً ، فروى ابن حِبَّان -رحمه الله- عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: أتى النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- رجلٌ ، فقال: إني أذنبت ذنبًا عظيمًا ؛ فهل لي من توبةٍ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل لك والدان ؟" ، قال: لا ، قال: "فهل لك من خالةٍ ؟" ، قال: نعم ، قال: "فبرَّها" ، حتى قال الإمام أحمد -رحمه الله- يقرِّر هذه الحقيقة الشرعية في قانونٍ واضحٍ: "برُّ الولدين كفارةٌ للكبائر".

• يا ولدًا بقيت عنده والدته ؛ القدمَ القدمَ .. القدمَ القدمَ.

لا تُغمضُ أمُّك عينَها عنك بالموت ؛ حتى تُغمضَ الدنيا عينَها عنك بالحياة.

ويا ولدًا ماتت عنه والدته ؛ انسج من طيبات الأقوال والأعمال حبلًا ؛ يصلْك بروحها في جوار الله.

• لما ربنا يوسَّع عليك ؛ هات لوالدتك مرتبة حديثة جميلة تريَّح جنبها الكريم عليه ، وصلَّح لها في الحمَّام والمطبخ اللي بايظ أو حدِّثه ، وممكن تبيَّض لها الشقة كمان ، وتعهَّد هدومها البيتية والخارجية وحذاءها الشريف ، ومرَّة بطانية ومرَّة سجادة ، ومرَّة تصلَّح دولاب ومرَّة سرير ومرَّة جهاز ، ولو بسط لك ربنا في رزقك أكتر ؛ اجبر خاطرك بخاطرها في شيء من دهب تجدِّد بيه حيويتها.

واتحف والدك الجليل بنضارة غير القديمة دي ، وكل فترة اشتري لنفسك فيه شيء بيحبه ، وركز أكتر في اللي بيحبه أكتر ، والشيء اللي مش ممكن يطلبه ، وراجع حتى غياراته وشراباته العزيزة ، وكل ما تخلَص إزازة ريحته عطِّر نفسك فيه بإزازة جديدة ، أما دواؤُه فأولى من الماء الذي تشرب.

اوعى تتصور إنهم خلاص أكلوا كل شيء ، وشربوا كل شيء ، وإنك أولى بالحياة منهم.

هم أولى بكل جميل وجديد في الحياة ، هم أصلًا الحياة ، واسأل اللي فقدوهم.

ولو مزعلك واحد من اخواتك صالحه عشان خاطرهم ؛ طمنهم على بنيانكم قبل الرحيل.

غسَّلتُ الجمعة الماضية والد صديقٍ لي -رحمه الله وطيَّب ثراه- ورأيت أبناءه يقبلون قدميه يمسحون بها وجوههم ، فقلت في نفسي: ما أطيب هذا! لكنَّ أطيب منه ما يكون في حياة الوالدين.

صدِّقني ؛ والداك أولى من أحببتَ وبررتَ ووصلتَ من العالمين ؛ لا تعطهما نُخالة نفسك وقلبك وجَهدك ووقتك ، بل أنفق عليهما من رأس مال هذا كله ؛ لله ولرسوله ثم لهما ولنفسك.

لم يزل يبكي أحدهم بكاءً مريرًا ، يقول لي: خرج بابا من الدنيا ومشبعش من أكلة كان بيحبها جدًّا ومكانش بيطلبها ، ومكنتش بخيل عليه خالص ، بس كنت مشغول عنه في حياتي.

وحدَّث أحدهم أنه دخل على أمه في ليلةٍ باردةٍ ، فقالت له -وهي نائمةٌ-:
الحمد لله إنك جيت يا ابني ؛ بردانة من بدري ومش قادرة اشد الغطا على جسمي ؛ بكى بكاءً شديدًا حينها ، وقال لها: يعني أنا ممكن أكون جنب مراتي وعيالي وانت لوحدك! وأعصابك مفيش كمان تشدي بيها الغطا عليك!

أغلى نصيحة بقى هنصحك بيها في والديك ؛ "أحسنُ إحسانك إلى والديك حين لا يحسنون" ، أعظم إحسان لوالديك في كبرهم تجاوزك عن أخطاءهم ؛ ولا كإنها حصلت ، وداري عليها كمان ، ومتحسسهمش إنها حصلت أصلًا على أد ما تقدر ، وبأول تعليق منشور قديم هيساعدك.

عندي حكايات بر جميلة وحكايات عقوق مرَّة ، شفتها كلها بنفسي ، يسر الله حكايتها.

احفظ والديك بين لطفك وعطفك معانقَهم ؛ من قبل أن تصبح بيومٍ كئيبٍ مفارقَهم.

• قال: يكلِّفني والداي بأعمالٍ تشق عليَّ ؛ فما الحيلة ؟

قلت: افعل ما لا تندم بعد موتهما على فواته ، وما زاد عليه فنافلةٌ لك.

يا أحبتي ؛ سلُوا من مات آباؤهم كيف الحياة بدونهم ؛ غدًا تخلو الدنيا منهم وتودُّون لو يكلِّفون.

باب والديك إلى الجنة هو الباب ؛ فلا تبرح عتبته ، واعتصم بمقبضه.

عوذًا بك اللهمَّ من ضجرٍ بآبائنا وسآمةٍ ، وسلِّم سلِّم.

• سأل سائلٌ: صار غضب والدتي علينا كثيرًا شديدًا طويلًا ، لا يكاد شيءٌ منا يرضيها عنا ، أمَّا تطييب نفسها بعد سخطها فإلى المحال أدنى ؛ ما الحيلة!

يا حبيبي ؛ صباح والدتك إسلامٌ وعافيةٌ ، حفظ الله روحها ، ووكّل السلامة بنفسها ، وعصَب كل خيرٍ بحالها ، وحشَد كل فضلٍ ببابها ، وأنالها من العيشة أخضرها ، ومن السعادة أحضرها ، ومن النعمة أنضرها ، وأصلح بالها وحالها ومآلها.

يا حبيبي ؛ إن كان ذلك كذلك والله أعلم بما هنالك ؛ فلله وبالله تذاكروا فضائلها وفواضلها ، واشكروا سوالف رأفتها بكم وسوابق رحمتها لكم ، وما أخبر الله بنفسه عنها مُذ كنتم في بطنها إلى أن أصبحتم كبارًا تعرفون من أفكارها وتنكرون ، وتُصوِّبون من أفعالها وتُخطِّئون ، بهذا فتواصَوا إن كنتم مؤمنين.

يا حبيبي ؛ كما كانت لكم طفولةٌ ومراهقةٌ وفتوةٌ وشبابٌ أَحدثتْ فيكم ما أحدثت ؛ كان لأمكم مِثلُ ذلك ، ولعل ذلك أحدث فيها ما لا طاقة لكم بحَمله.

يا حبيبي ؛ تخايلوا أنفسكم وقد صرتم إلى ما صارت إليه الوالدة من وهن النفس والعقل والجسد جميعًا ؛ احلموا عنها ، وارفقوا بها ، وأقلُّوا لومها على خاطئ تصوراتها ، واجتنبوا الاستدراك على سيء تصرفاتها ، ولا تجادلوها إلا في قطعيات الأحكام وبأحسن الإحسان وتحيَّنوا لهذا ساعة رضاها ، فإن لم تقدروا على هذا فلا جناح عليكم ، وتحببوا إليها بترك ما تكره وفعل ما تحب مما أباح الله وأقدركم عليه ، واذكروا وصاة الله ورسوله بها ، وأنها اليوم -ذاتَ

ضعفٍ وشيبةٍ- أحوج إليكم من الأمس ، وأحسن إحسانك إلى حبيبٍ حين لا يحسن.

يا حبيبي ؛ واذكروا إذ كنتم صغارًا فأحسنت إليكم الوالدة بالسلب والإيجاب كثيرًا ، وأن الجنة التي سقفها عرش الله عند قدميها ، وأنكم غدًا إذا ضعفتم من بعد قوةٍ في نفوسكم وعقولكم وأجسادكم ؛ أحوج إلى تجاوز الناس عن سيئاتكم ، ورفقِهم بكم ، وعطفِهم عليكم ، وأن نبلاء الناس وأوفياءهم هم البررة بآبائهم ، وأن الأيام دُوَلٌ والليالي حُبالى ، وأن الجزاء في الخير والشر من جنس العمل ، وأن الرب شكورٌ لا يَكفُر عبدًا عملَه مثقال ذرةٍ ، وأنه ديانٌ حسيبٌ.

يا حبيبي ؛ كم إنسانٍ تطلع عليه شمسٌ لم يجعل الله له من دونها سِترًا! ما كان الستر من هجيرها إلا أمه التي فقد ، توهَّم ذلك اليوم البائس بغير أمٍّ يُشكى منها ، لعلك تستحلي بذا الخيال القاسي ما كان مرًّا وتستعذب العذاب.

يا حبيبي ؛ هذا حرفٌ لا يقلب باطل الآباء حقًّا وجَورهم عدلًا ، كما أنه لا يكلفك فِعل معجوزٍ عنه ، لكنه يزكي خليقتك ويُجوِّد طريقتك ؛ فكن له أهلًا ، ولوجه ربك فاصبر مستعينًا بربك ، وأبشر يوم تصير والدًا لولدٍ بما يسرك لا يضرك.

• لا يحل لوالديك ضربُك بغير حقٍّ ، أو بحقٍّ لكن زيادةً على ما تستحق ، واجتناب الضرب خيرٌ إلا قليلًا لا بد منه ، ومتى اضطُرا إليه فبقيودٍ كثيرةٍ لا يُباح إلا بها.

ليس هذا مَرامَ حرفي ذا حبيبي ، إنما مَرامُه إذا ضربك والداك بغير حقٍّ أو زيادةً على ما تستحق ؛ فاغفر لهما وارحمهما وظُن بهما ما ينبغي من الخير لهما ، ومتى يسَّر الله بينكم حالًا صالحةً مُوَاتِيَةً ؛ فبيِّن لهم رفيقًا بإحسانٍ مغبَّة هذا في عاجل الأمر وآجله ، وأنه ليس بالأهدى في الإسلام سبيلًا لتأديبٍ ، ولا الأرضى لله ورسوله في البعيد والقريب ، فإن كَفَّا عن ظلمك فلله الحمد جزيلًا وعليه الثناء جميلًا ، وإلا فلا تمكنهما من ضربك بباطلٍ أو بحقٍّ لكن زيادةً على ما تستحق ، والله يعلم المفسد من المصلح ، وهو عليكم أجمعين رقيبٌ حسيبٌ ، اغفر ربَّاه وارحم.

من طريف ما أذكر في هذا الشأن ؛ أن والدتي -أبهج الله في الدارين مهجتها- ضربتني أيام الجامعة منذ أكثر من عشرين سنةً لتأخري عن البيت إلى شطر الليل ، وكانت هذه خطيئتي المكرورة في جنبها الكريم وقتئذٍ كثيرًا ، فلما كان اليوم التالي وفرغت من إلقاء موعظةٍ في المسجد ليلًا ، وبينما أنا بين كبار أهل المسجد -مسَّاهم الله بخير الإيمان وأطيب العافية أجمعين- إذ أقبل علي أخي الصغير موسى -قلَّبه الله في الساجدين- وهو يومئذٍ ابن عشر سنين ، وقال لي بحضرة الناس: أمي عايزة حضرتك دلوقت يا أبيه حمزة ، فقلت له: حاضر يا حبيبي ، وتأبَّطته ، وجعلت أُتم إلى الأحبة حديثي ، وإن أصغرهم لمجاوزٌ الأربعين عامًا ، فقال لي المدهول في دهولةٍ منقطعة النظير: ما لو اتأخرت يا أبيه هتضرب حضرتك زي امبارح ، وهنا ساخت أقدامنا في الأرض ضحكًا أجمعين.

استمر السَّفُّ علي في المسجد بسبب دهولة الباشا سنين عددًا ، وسلك القوم في سَفِّهم علي كلما ذكروا ذلك طرائق قِدَدًا ، المهم مع هتضرب "حضرتك".

ما سخطت على والدتي في شدةٍ علي يومًا ، ولو أني تخايلت إنسانًا معصومًا لم يكن ذلك الإنسان إلا أمي ؛ ذلك بأن الحبيبة ما ضربتني قط إلا ابتغاء صلاحي.

• انت ياض -ربنا يصلح بالك وحالك ومآلك- مش هتبطل تقلق والديك عليك بالتأخير كتير ؟ لأ ومبتردش عالتليفون كمان! ربنا يكفي قلبك شر القلق.

• لئن عجبت من عقوق الصغار آباءَهم شيئًا ؛ فإن عجبي من عقوق الكبار لا ينقضي!

كيف يعقُّ الكبار آباءهم ؛ وقد ذاقوا فيما عاشوا حتى كبروا من نفوسهم ومن الناس والدنيا ما ذاقوا ؟!

أنا يا أمي كلما كبرت ساعةً شهدت فضلك سنةً ، أنا يا أبي كلما تأخرتْ قدرةُ حِسِّي سنةً تقدمتُ نحو قدْر نفسِك عشرًا ، يا والدتي ؛ أنا كلما أَسْنَنْتُ وَهَى قلبي فابتغى القوة في حنانك المَكِين ، يا والدى ؛ أنا كلما وَهَنَ عظمي عَظُمَ وَهَنِي فلُذْتُ بجدارك المتين ، أنا يا أبَويَّ كلما هُتِكَ لي من نفسي شُحٌّ تجلَّي لي من نفسَيكما ألفُ عطاءٍ ، أنا يا والدَيَّ كلما خالطت الناس شيئًا مُلِئت

رعبًا ، ففررت إلى حِماكما أتحصَّن بمأمنه ، يا أمي وأبي ؛ إذا استوت الحياة والموت ؛ لم تستو أنوار جواركما وظلمات البِعَاد ، يا أبي وأمي ؛ كل ظلّ ينبسط لي منقبضًا دونكما حَرُورٌ ، وكل رَطْبٍ يذوقه قلبي لا تذوقانه قبلي يابسٌ ، يا حبيبيَّ ؛ أنا خائفٌ إلا في بساطٍ من أمانكما سلامٍ ، يا صديقيَّ ؛ يملأ بُنَيَّكُمَا فراغَ فؤاده بِبِضْع أثاراتٍ من بركاتكما كلَّ خمس كآباتٍ ونصفٍ ، ويدَّخر باقيَها لما بقي من أوجاعه في أكداح الحياة ، أُمَّيَاهُ ويا أبت ؛ رحمكما الله كما رحم بكما ، ورحمكما ، ورحمكما ، يا خليليَّ ؛ لئن ضَؤُلَ إحساني إليكما صغيرًا ؛ فقد أَرْبَى الله برِّي بكما كبيرًا ، إني -بلا ولدٍ- أبصر ما بذلتماه لي ولدًا على وجهه المبين ؛ كيف بصيرتي لو كنت ذا ولدٍ ؟! أستغفر الرحمن من أيسر التفريط في وَصَاته الجليلة بقدْركما العظيم ؛ إنه كان للأوَّابين غفورًا.

الآن وقد أوشك غرق العُمُر أن يدركني أبرُّكما فلا أجفو ، وأتبلَّغ بأَمْداد النهار بين يديكما لأقوم الليلَ عند قدميكما ولا أغفو ، ويكدِر بالي الدهرَ ما كدِر بالُكما بعضَ يومٍ فلا يصفو ، وإلى إنعام حبِّكما وإنعاش قربِكما تصْبو روحُ صغيرِكما وتهْفو ، وآثارَكما -اليومَ- دون مسالك الأقربين والأبعدين جميعًا يقْفو.

كيف يعقُّ الكبار آباءهم ؛ وقد ذاقوا فيما عاشوا حتى كبروا من نفوسهم ومن الناس والدنيا ما ذاقوا ؟!

لئن عجبت من عقوق الصغار آباءَهم شيئًا ؛ فإن عجبي من عقوق الكبار لا ينقضي.



الحب والحرب



• قطعةٌ شهيةٌ في علامات المحبة ؛ لسيدنا ابن حزمٍ الجميل رحمه الله ، قال:
"ومن علاماته وشواهده الظاهرة لكل ذي بصرٍ ؛ الانبساطُ الكثير الزائد ، والتضايقُ في المكان الواسع ، والمجاذبةُ على الشيء يأخذه أحدهما ، وكثرةُ الغمز الخفيِّ ، والميلُ بالاتكاء ، والتعمدُ لمسَ اليد عند المحادثة ، ولمسُ ما أمكن من الأعضاء الظاهرة ، وشربُ فضلة ما أبقى المحبوب في الإناء ، وتحرِّي المكان الذي يقابله فيه".

• ومُغرمةٍ بالنَّحوِ قلتُ لها اعربي ** "حبيبي عليهِ الدَّهرُ كانَ قدِ اعتدى"
فقالتْ "حبيبي" مبتدًا بكلامهِ ** فقلتُ لها ضُمِّيهِ إنْ كانَ مبتدا
رباه محبةً حتى الشيب ؛ لا عيب فيها ولا ريب.

• إنْ جئتَ مكسورًا فضمُّكَ واجبٌ ** أنا في هواكَ أخالفُ الإعرابا

• سبحان بارئ الحب! ما في الوجود كله أعجب منه!
أنفعُ شيءٍ وأضرُّه ، وأبردُ شيءٍ وأحرُّه ، وأحلى شيءٍ وأمرُّه ، وأهيجُ شيءٍ وأقرُّه.

• سعدي الشيرازي:

قالَ لي المحبوبُ لما زرتهُ ** منْ ببابي قلتُ بالبابِ أنا

قالَ لي أخطأتَ تعريفَ الهوى ** حينما فرَّقتَ فيهِ بيننا

ومضى عامٌ فلما جئتهُ ** أطرقُ البابَ عليهِ مُوهَنا

قالَ لي منْ أنتَ قلتُ انظرْ فما ** ثَمَّ إلا أنتَ بالبابِ هنا

قالَ لي أحسنتَ تعريفَ الهوى ** وعرفتَ الحبَّ فادخلْ يا أنا

• متحرمش منك ، ومستغناش عنك.

لذيذتان من القلب ، شهيدتان على الحب.

• من أعظم الأدلة على وجود الله جلَّ جلاله ؛ الحب.

من جهة معناه وأصله ، ومن جهة آيات الله الكبرى فيه.

• الحب والحرب ؛ يسيرٌ إضرامهما ، عسيرٌ إطفاؤهما.

• إذا غلب الحب ؛ فخطأ المحبوب سدادٌ ، وغيُّه رشادٌ.

• في الحب ؛ لا بأس بيسير البلطجة.

• كان يسمع ضحك عينيه فتطرب أذنه ، ويرى بريق فمه فتقرُّ عينه" ؛ هي كما قرأتَ.

كذلك الحبُّ إذا استولى ؛ نبصرهم حتَّى بالآذان ، ونسمعهم حتَّى بالعيون. ، وإذا مسموعاتهم مرائي ، ومرائيهم مسموعاتٍ ، لكلِّ شيءٍ فيهم كلُّ شيءٍ منَّا "عنايةً ورعايةً" ؛ حتَّى يرضوا فنرضى.

• أسعدُ الناس بالحب حدثاءُ العهد بروعته ، الذين يوقظ الحب لَوَاعِجَهُمْ من سُباتها أولَ مرةٍ ، لا سوالف تجربةٍ تُبطِّئهم ، ولا سوابق خبرةٍ تُعوِّقهم ؛ كأطفالٍ بحَلواهم يلتذون.

أفئدتهم في جوِّه طائراتٌ لا تخشى جذبًا ، وألسنتهم في برِّه طائشاتٌ لا تحذر دَرَكًا ، وجوارحهم في بحره جارياتٌ لا تخاف غرقًا ؛ أولئك المنعَمون في جنونه غُفَاةً يحلمون.

• استيفاء الحقوق في الحرب أهون من استيفاء الحظوظ في الحب ، ولئن كابد محاربٌ في استيفاء حقوقه -من عدوه- فربح أقصاها ؛ فإن المحب كلما دأب في استيفاء حظوظه -من محبوبه- خسر أدناها.

• سبحان خالق القلوب بارئ الحب مصور العلائق!

• يسألونك عن الحب ؛ قل: هو حرفاه.

الحب مجتمَع الأضداد ؛ الحاء حرُّه ، والباء برده.

الحب القلب إذا اتسق ؛ الحاء رخوٌ مهموسٌ ، والباء شديدٌ مجهورٌ.

الحب استيلاءٌ على الباطن والظاهر ؛ حاؤه من أقصى الحلق ، وباؤه من أدنى الفم.

• وأرجو التداني منكِ يا ابنةَ مالكٍ ** ودُونَ التداني نارُ حربٍ تَضَرَّمُ

راجعتِ "قاموس الحب والحرب" حبيبتي ؛ كما ناشدتكِ مرارًا ؟ أقدُر حزنكِ لرحيلي ؛ لكنْ لا بد.

المدُّ والجَزْر ، الظَّفَر والهزيمة ، نُدوب الهوى وجراحات القتال ، دقات القلب ودقات طُبول المعارك ، غرام الفؤاد وغمرات الجهاد ، الخوف والأمان ، البَوْحُ والكتمان ، الهِياج والسكون ، مَشارِع الأشواق ومصارِع العشاق ، الهيمنة وطرائقها ؛ كلها في "معجم لسان الفطرة" سواءٌ.

قيل لعنترة: صف لنا الحرب ، فقال: أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى. وقيل لابن الفارض: صف لنا العشق ، فقال: أوله عَناءٌ ، وأوسطه سَقمٌ ، وآخره قتلٌ. ولو أجاب أيهما سؤال الآخر ما زاد ولا نقص ؛ إيهًا حليلتي! أولم أقل لكِ! فلأزيدنكِ ؛ فاستطيعي معي صبرًا.

العاشق تتدفق دماؤه في عروقه ، والشهيد تنفجر دماؤه منها ، فإذا قضى الله موت حبيبكِ شهيدًا فقد جُعل حظٌّ دمي على هذه الأرض الفوران ، لا ضير ؛ حدثني أبي أن سُكَّان الفردوس الأعلى إذا زاروا ربهم -جلَّ ثناؤه- فرأوا وجهه الكريم ؛ رجعوا إلى منازلهم وقد سكن فيهم كل شيءٍ.

دجَّالون هم حبيبتي ؛ أولئك الذي يعزلون الحب في ثرثراتهم عن الحرب ؛ يصونونه عن قبائحها زعموا! هل الحرب -في شِرْعةٍ مقدَّسةٍ- إلا سيفُ السماء يُحامي عن بقايا الجمال في الأرض!

في فتيةٍ مِنْ كُمَاةِ الدِّينِ ما تركَتْ ** للرَّعدِ كَرَّاتُهمْ صوتًا ولا صِيتا

قومٌ إذا قُوبلوا كانوا ملائكةً ** حُسْنًا وإنْ قُوتلوا كانوا عفاريتا

ويحكِ! تغارين من جاريةٍ! لم تكن صُوفيا التي رأيتِ صورتها معي إلا جاريةً ، أهدانيها صديقٌ بعد غزوةٍ مباركةٍ في قازانَ من أرض الرُّوس ، ومِثْله لا تُردُّ هِبَتُه ؛ كما أن مِثْلكِ لا يُنازَع موقعُه ، أنتِ أنتِ ، لعل حبيبكِ إذا انتصر -فلم يَقضِ نحْبَه- عاد بها إليكِ ؛ فكانت إحدى وصيفاتكِ.

"الفلفل الأسود علاجٌ لكثافة شعركِ سيدتي" ؛ قرأتها على علبةٍ فوق رفِّ مرآتكِ ذاتَ مساءٍ قريبٍ ، من قال أني أريد شعركِ مرسَلًا! أحبه كثيفًا ؛ إنه في فلسفة حبيبكِ يشير إلى طبيعة هذه الحياة ، ثم إني غير واثقٍ به دواءً لهذا ؛ بَيْدَ أني على يقينٍ من دوره في صناعة بعض المتفجرات اليدوية.

لم أقرأ قصائد توماس هاردي الثلاثة في الحرب ، ولا أنوي الإصغاء إلى قصيدة كريستينا روستي "الحب لا يعرف الألغام" ؛ ذلك بأني مكذِّبٌ فؤادَيهما جميعًا ؛ لكني أحفظ "أرملة الشهيد تهدهد طفلها" ؛ حين يهدر في ثناياها - بكل كآبةٍ خلَّاقةٍ- صدُوق الحرية هاشم الرفاعي ، يقول -تقبله الله شهيدًا-:

فإذا عرفتَ جريمةَ ال ** جاني وما اقترفتْ يداهْ

فانثرْ على قبري وقبْ ** ـرِ أبيكَ شيئًا مِنْ دِماهْ

لم تذبل وردةٌ أهديتِنيها ذاتَ تنزُّهٍ في حديقةٍ فقيرةٍ إبَّانَ كنت مطارَدًا ؛ فاليومَ أعدُكِ بمَروحيَّةٍ تتنزَّهين بها في سماء سيناء ، ثم أخرى أغلى وأحلى وأعلى ؛ شجرةِ زيتونٍ في طُور سينين ؛ لا لجمال الزيتون في سفح الجبل ؛ لكنْ لتجلِّي ذي الجلال يومًا عليه ؛ كما وعد رسولُ الله سُراقةَ سِوارَيْ كسرى.

يا حبيبتي ؛ عزيزٌ على نفسي عتابكِ يوم الرحيل ضحىً: لم تصِلكَ فتوى الشيخ بعدُ أن تخرج إلى الجهاد ؛ فلمَ تصرُّ عليه ؟ لقد سبقتْ يومَها إلى قلب حبيبكِ فتوى الله: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ" ، وقد وَعَيْتُ عن أمي صغيرًا: يا بني ؛ إذا اضطربت الفتاوى لغلبة الأهواء ، وضللتَ عن الحق في غيابات الآراء ؛ فكفى بالله مفتيًا ؛ "يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ".

"فضل الجهاد لمن سكن مصر من بائسي العباد" ؛ عنوان كُتيِّبٍ تركت أوراقه مبعثرةً على مكتبي قبل السفر بثلاثٍ ، لملميها حبيبتي ، وانشريه بحثًا مُثَوِّرًا على "الشبكة" في كل موقعٍ تبلغين ؛ عسى أن يكونوا في ميزانكِ ثقلًا أولئك الذين سيقرؤون فيفعلون ، لا أحُضُّ في حروفه بؤساء المحروسة على الجهاد لنفسه ؛ بل لضرورته لهم مَخرجًا من الموت إلى الحياة.

تقولين: نسيتني! ليس في هذه -بعد مألوف حبكِ العنيف- شيءٌ حسنٌ ؛ إلا ما هان بها من ألم شظيةٍ أصابت عضُدي البارحة ، أنساكِ! أنا -يا حبيبة- لولا تمرين قدميَّ على أن تخطئا طريقهما نحو ظلِّكِ ؛ ما قدَرَتا على خطوتين بعيدًا عن شخصكِ ، رجوتكِ ؛ ازفِري وجعكِ ما شئتِ ؛ لكنْ بغير "نسيتني".

رعدٌ وبرقٌ ومطرٌ ونارٌ وبردٌ ودفءٌ ؛ مجتمعةٌ كلُّ دواهي الشتاء في عَتمتي هذه ريحًا قاصفةً تجتاح جوانجي ، الآن أفهم -يا حبيبتي- أن الشتاء ليس زمانًا ؛ الشتاء مكانٌ سحيقٌ في أعماقنا ، إنما فِعْلُ الزمان فيه أن يستخرجه منا فحَسْبُ ؛ فتُهتك أستارُنا ، ونكون على هذه الرَّجفة الشديدة من الحب.

ولقدْ ذكرتكِ والرِّماحُ نواهلٌ ** منِّي وبِيضُ الهندِ تقطرُ مِنْ دمي

إنما الحب في الأهوال ؛ لم أذق طعم الحب في رخاءٍ فأشهد له ، وقديمًا كنت أذكركِ في أحلك ساعات تعذيبي فأُواسَى كثيرًا ؛ أوَّه! لم تُبق رعشة الفؤاد لرعشة أطرافي من زمهرير هذا الليل شيئًا.

إنَّ العيونَ التي في طرْفِها حَوَرٌ ** قتلننا ثمَّ لمْ يُحيينَ قتلانا

يصرَعنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ بِهِ ** وهُنَّ أضعفُ خلقِ اللهِ أركانا

غدا كل مجاهدٍ يبرأ إلى الله من بيتَي جريرٍ هذين ؛ إلا أنا ؛ أنا من صرعته بحقٍّ عيناكِ ؛ غير أني جعلت موضع مصرعي حيث غايتُه ، وغايته وضعُ الآصار عنكِ وعن قومكِ فداءً لعينيكِ ، لقد برزتُ إلى فرعون برسالةٍ من موسى لا أعرف ما بها ؛ غير أن ظرفها منقوشٌ عليه: "أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ".

"ابنُ الوَسِخَة" ؛ تمامًا كما تقرأينها ، لم يفقد لسانُ حبيبكِ عفَّته ؛ كيف وأنا أكتب إليكِ من مُصلَّاي في كهفي! لكنْ ما حيلتي والزَّنيم لا يُعرفُ إلا به!

"والحُرُّ ممتحَنٌ بأولادِ الزنا" ، أثابه الله عنا خيرًا عظيمًا إذ جعل القدس عاصمةً لليهود ؛ لقد كادت -في أجيالٍ صاعدةٍ نازلةٍ- أن تكون نسيًا منسيًّا ؛ فاليومَ يبعثها الله في قلوبنا بعثًا جديدًا ؛ دُحُورًا -يا ابن اللَّخْناء ، وخنثاك في مصرَ- ولكما عذابٌ واصبٌ.

"متن أبي شجاعٍ" ؛ قرِّي عينًا ؛ بقيتْ لحبيبكِ من حفظه فِقرتان ، وذا شرحٌ ثالثٌ له بين يدَي ، أُراوح بين مطالعته وبين تدريبٍ على "الدُّوشكا" عسيرٍ ، خاب المقتسمون ؛ إما متفقهٌ وإما مقاتلٌ! أولم يكن أبو شجاعٍ قاضيًا أولَ حياته ناسكًا آخرَها فقيهًا بينهما! ويلي! كيف أُنسيت حاشية شيخ الثوار الشهيد عماد عفَّت أَدْرُسها! ولم يزل يُطرفني لذيذُ تشغيبكِ على مذاكرتي في "واتساب" أيامَ عقدنا ؛ إذ تقولين: لا أنهي المحادثة وأدعك حتى تجيبني ؛ من وصل قليلًا من الآخرين بثُلَّةٍ من الأولين ؟

أبو شجاعٍ عمادًا في تعفُّفِهِ ** أمْ شيخُ ثورتنا قدْ طالَ بالشَّجَعِ

تكتبين: ديارُنا! ما علمتُ ديارنا صالحةً للحب يومًا ؛ أليست هي الديار التي يقول حكماؤها!: "إنَّ الجدارَ لهُ أُذُنْ"! فلقد تعلمين حبيبكِ ؛ لا يناسبه قطُّ ذلك النوعِ الهزيل من الحب ؛ فأيُّ ديارٍ!

أنا لنْ ألينَ ولنْ أخونْ ** ولنْ أُغادرَ رَكْبَها

أنا لنْ أُهادنَ مَنْ بغوا ** يومًا على أبرارها

سمكُ السَّردين ؛ تصدِّقين أني ما شبعت بعده مرةً واحدةً! كيف طهوتيه يومئذٍ! وأنا أصدُقكِ أيضًا ؛ ما ذكرته الآن من شوقٍ لأشقى ؛ بل ذكَّرنيه قائدٌ -هنا- بالأمس في حديثٍ عن القنبلة العنقودية ، قال: ما إن تقع القذيفة حتى تأخذ بالدوران ؛ بسبب زعانف الذيل الذي يشبه ذيل السمكة السَّردين.

لا والله حبيبتي ؛ ما كانت نزهة صيدٍ مع صُوفيا ، ولا كان ما على كتفي الأيمن بندقيةٌ ألهو بها ، من وَشَى بصوري تلك عندكِ ؟ قُتل النَّمَّامون ؛ بل كان "آر بي جي" ؛ فماذا عليَّ إذًا من جُناحٍ! ألم تكن ضراعتكِ لي ذاتَ تهجُّدٍ بسَحَرٍ: يا رب "آر بي جي" ؛ يجاهد حبيبي بيه! أفذنبي أنكِ كنتِ صادقة الرجاء! الآن الآن أحمله حبيبتي ؛ كما حمل إخلاصُكِ دعاءَكِ حتى اخترق حُجُب السماء.

الحُب ؛ قاتل الله ضمَّة الحاء به ؛ تذكِّرني كلَّ ضمةٍ بيننا كانت ، فأنا كائنٌ بآثارهن إلى يوم لا أكون.

الشهيد والحور العين ؛ لم يَعِدِ الشهيدَ بحورٍ عينٍ هذا الوعد الفيَّاض ؛ إلا ربٌّ "يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" ؛ إن كل معنًى يخوضه المجاهد في غربته ؛ لَيَشُدُّه إلى كل معنًى في المرأة شدًّا ؛ من يوم "زَمِّلوني زمِّلوني" فزمَّلته خديجة ، إلى يوم "قُبض رسولُ الله بين سَحْري ونَحْري" تباهي بها عائشة ، وما كان بينهما من تكاليف الرسالة بين حاجات النفس في شدائد الحياة.

بارودتي بيدِي ** وبجَعبتي كَفَنِي

يا أُمَّتي انتظري ** فجْري ولا تَهِنِي

شظيةٌ وذخيرةٌ وكبسولةٌ ورصاصٌ وزنادٌ ، والبارود وحده ؛ كم كنتِ تَمَلِّين هذه الأغنية أكررها كثيرًا! لم يكن حبيبًا إليَّ فيها شيءٌ غير البارود ؛ يقولون إن أول استعماله كان في الذود عن غَرناطة.

حبيبتي ؛ عَلَقَة تماسِّنا ببطنكِ هي بقيتي فيكِ الباقيةُ من بعدي ؛ ولدُنا مُضغتُنا ؛ حملُكِ به يشبه اعتناءكِ بي نائمًا ، رضاعتكِ له تحاكي برَّكِ بي يقظانًا ، أما تأديبكِ إياه فثغرٌ كتب الله لكِ كفايته وحدكِ ، فإن يكن ذكرًا فألحقيه بحنظلة غِسِّيل الملائكة ، وأخبريه أني ما خرجت إلا لما خرج له

سيدي رضي الله عنه ، وإن تكُ أنثى -"وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى"- فاجعليها مثلكِ أنتِ ؛ لا أريد بها مزيدًا عليكِ في شيءٍ.

"النفاذ في الفولاذ" ؛ هذه كلمة السرِّ بيني وبين ولدي ، حفِّظيه إياها ؛ لتكون كلمة سرِّ هاتفه وحاسوبه وكلِّ آلةٍ ذاتِ كلمة سرٍّ ، حتى إذا لقيته في عَرَصات القيامة وسارَّني بها في أذني عرفته ؛ فلَثَمْتُه هناك وعانقته ، وفاخرت به الآباء في حضرة الله ؛ أَوصيه بكل ما أوصيتكِ به فيها ، لا أريده أن يعرف أنها معيار قوة قذيفة "الآر بي جي" ، ذلك شيءٌ يعرفه آحاد الناس ؛ بل أريدها معنًى ضخمًا هائلًا في نفسه ، يقوِّي ظهره في الحياة كلها ؛ حتى ينفذ هو في كل فولاذٍ ، واستعيني الله.

رحم الله جدَّتي ؛ قالت لي: لما بلغ والدتَك نبأُ شهادة أبيك أسعده الله ؛ سألت من فورها: ضُرب في بطنه أم في ظهره ؟ عجبنا لسؤالها! وكان حذر المرأة أن يكون بطلُها قُتل مدبرًا ؛ لا إله إلا الله.

لا أحلى فيكِ بعد أنكِ زوجي من أنكِ أمي سوى أنكِ صديقتي ؛ شُدِّي أزري ، يقولون إن روميل لم يخسر حربه لنقصٍ في كفاءته ؛ بل لضعفٍ كان في الدَّعم الجوِّي ، فأنتِ -يا حديث أنفاسي- جوِّي وأرضي وسمائي ، أنتِ أنتِ ، شاركيني أمري ؛ كي نسبِّح الله كثيرًا ، ونسفح دم عدوه كثيرًا.



قضايا متنوعة

• اتقوا الرحمة الظالمة ؛ تلك التي يجعلها صاحبها في غير موضعها ، وإن الله حكيمٌ يحب الحكمة وأهلها ؛ اللين حيث وجد المسلم له أهلًا ، والشدة حيث وجد المسلم لها أهلًا ، "قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا".

امرأةٌ يمعن زوجها في ظلمها بالترك والفعل زمانًا طويلًا ، وقد صبرت عليه وأحسنت إليه بكل وسيلةٍ وحيلةٍ ، فلم يزده ذلك إلا طغيانًا كبيرًا ؛ حرامٌ عليها أن تمكنه من نفسها مزيدًا ، ولتدَعْه لا خير فيه.

هذا التمكين للزوج الظلوم الجهول لا يجوز للمرأة لحقوقٍ خمسةٍ ؛ حق الله الأعظم ألا يُعصى بالبغي والعدوان ، وحق الإسلام ألا تُنقض "عروة العدل" منه بشيءٍ من قِبَلِها ، وحق المرأة على نفسها في عيشةٍ راضيةٍ ، وحق الزوج أن يُنصر ظالمًا بكفِّه عن الظلم والأخذ على يديه ، وذلك تخفيفٌ عن ظهره يوم تُنقض الظهور بالأوزار لو كان يفقه ، وحق الأبناء ألا يشقوا بهذه الحال ، وألا يرثوا من أبيهم القسوة والجور والأثرة ومن أمهم الذلة والهوان والمسكنة ، وما تغنيهم صورة أبيهم إذا فقدوا حقيقتها ؟!

يا بيوت الإسلام ؛ إذا تعطلت مقاصد الزواج العليا "السكن والمودة والرحمة" تعطلًا ، وتحققت أضدادها تحققًا ، وفشلت محاولات المعالجة في الزمان الكافي لها ؛ ففيم بقاء صورتها مع خراب حقيقتها ؟!

إنك لتجد امرأةً ينكِّل بها زوجها تنكيلًا ، في نفسٍ وحِسٍّ وما بينهما ، حتى ينزف دينها ، وتنزف أخلاقها ، وتنزف نفسها ، وتنزف صحتها ، وينزف عقلها ، وتنزف عاطفتها ، ثم هي لا تحسن إلا الأنين!

يا بنت الإسلام التي تقاسي زوجًا كهذا ؛ هذا حرفٌ يعينك على الحكمة والرَّشد ، لن يختصم فيك جبرائيل وميكائيل أيهما يكفُّ عنك بطش زوجك إذا لم تنهضي أنت بحقك ، فاتقي الرحمة الظالمة.

• ذنبان لا طاقة لفؤادي بسماعهما ؛ عقوق الوالدين وخيانة الأزواج ، ولو كان العقوق رفعَ صوتٍ مرةً ، وإنْ كانت الخيانة بذلَ حرفٍ واحدٍ ؛ حتى لقد هممت أن أسأل الناس ألا يسألوني في شيءٍ منهما ، لا سيما الثاني ، لستُ بالذي يتكبر على عاصٍ في معصيته ؛ بل أرجو رحمة الله ومعافاته لكل ذي خطيئةٍ وآفةٍ ؛ لكنْ قد جعل الله لكل قلبٍ طاقةً ، وإن قلبي أوهى وأوهن من ذلك ؛ عصمنا مولانا أجمعين.

• هل يحل لي تمكين زوجي من ضربي إجحافًا بيّنًا ؟

هل يجوز لي تمكين أبي أو أمي من ضربي عدوانًا صُراحًا ؟

هل يُباح لي تمكين زوجي أو امرأتي من ضرب ولدنا طغيانًا سافرًا ؟

هل يسوغ لي تمكين قائدي أو معلمي أو شيخي من إهانتي إهانةً قطعيةً ؟

الجواب الأوحد في شريعة الرحمن: من أمكن لظالمه من نفسه فهو شرٌّ منه.

تعالى الإسلام عن إباحة الظلم من أي أحدٍ بأي قدْرٍ ، وإنا بغير قِسطه كافرون.

لن يرسل الله إليك جبرائيل وميكائيل يختصمان أيُّهما يذود عنك ؛ احترم دينك.

الجائرون وحدهم سيفهمون هذا الحرف فهمًا سقيمًا كنفوسهم ؛ لا مرحبًا بهم.

• ليس أعظم من رغبة النظام الدولي في الهيمنة على الشعوب ؛ إلا رغبة المرأة في الهيمنة على زوجها ، الفرق الواسع بين النظام الدولي والمرأة في ذلك ؛ أن الأول يحاول الهيمنة بطرائقها الفعالة حقًّا وحسبك معاينة آثارها في الواقع ، أما المرأة فتحاول الهيمنة عليك بأفشل وسائلها وحسبك الله ونعم الوكيل.

• ما أيسر جهاد النسوية بالألسنة والأقلام!

تالله ما أبغض النسوية عبدٌ يشهد ظلم امرأةٍ قد أقدَرَه الله على حمايتها ، ثم هو لا يُسْعِفُها بكل ما قدَر ، أما الظالمون النساء بأنفسهم فأولئك أعونُ الناس على النسوية وإن لعنوها بكل قلمٍ ولسانٍ ؛ فإن العبرة عند الله بالحقائق لا بالصور.

أقبح الظلم ظلم النساء ، وأقبحه ما كان من مَظِنَّة رحمتها والقسط فيها فاستبدل بذلك ظلمها والبغي عليها ، ولذلك المعنى عطف النبي -صلى الله عليه وسلم- المرأة على اليتيم في قوله: "إني أُحَرِّج عليكم حق الضعيفين ؛ اليتيم والمرأة".

في الحديث الإلهي: "اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصرًا غيري" ؛ فلولا أن العاجز عن مجازاة ظالمه بما ينبغي له من الشدة ؛ ما اشتد غضب الجبَّار عليه هكذا ، ولا يستوي غادرٌ بآمِنٍ إليه وغادرٌ سواه ، وكلٌّ عند الدَّيَّان شنيعٌ.

ليس الظلمَ الجزئي العارض اليسير الذي يغشاه أكثرُ الخلطاء أعني ؛ فإنه لا يكاد يسلم منه رجلٌ ولا امرأةٌ ، إنما هو الظلم الكلي الدائم العظيم.
نعوذ بالله من الظلم كلِّه دِقِّه وجِلِّه ، واحفظنا اللهم بكل صحبةٍ بالتغافل والتغافر متراحمين.

• الذكورية والنسوية ؛ أضواءٌ في عتمة معركةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ.

قال الله: "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى" ، وقال رسوله: "إنما النساء شقائق الرجال".

- ليس الذي بين الذكر وبين الأنثى بأكبر مما بين الليل وبين النهار ، ولعل هذا من أسرار عطف الله خلْق الذكر والأنثى على خلْق الليل والنهار ، فقال: "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى" ، ولئن ساغ إيثار الليل على النهار أو النهار على الليل من كل وجهٍ ؛ ساغ ذلك بين الذكر وبين الأنثى ، وما بقي الليل والنهار يتساندان لا يتعاندان قدَرًا ؛ بقي الذكر والأنثى كذلك شرعًا.

- الفروق النفسية والحِسية بين الرجال والنساء ثابتةٌ بالقدَر والشرع جميعًا ، وإنكارها مُحادَّةٌ للعقل ومكابرةٌ للحِس ومُشاقَّةٌ لشرائع النبيين كلها ، ومِن ورائه خسفٌ مقصودٌ للفِطَر والعقول ؛ لِتستهجن بنفسها أحكام الله والرسول.

- جنس الرجال مفضَّلٌ على جنس النساء في أمورٍ معينةٍ كونيةٍ وشرعيةٍ.

- هذا التفضيل في الإسلام مسبَّبٌ بأسبابٍ مُركَّبةٍ ؛ فإذا زالت (جميعًا) - وقلَّ ما تزول جميعًا- فلا تفضيل ، وإذا زال بعضها زال من التفضيل بقدْر ذلك.

- الأفضلية تشريفٌ من وجهٍ وتكليفٌ من وجهٍ آخر ، فإذا زال التكليف زال التشريف ؛ بل لحقت الرجلَ وضاعةٌ حتى يرتفع إلى رُتبته التي أعلاه الله إليها تارةً أخرى ، وهي سنةٌ جاريةٌ لله في القدَر والشرع ؛ "الغُنم بالغُرم".

- لا يستلزم هذا التفضيلُ العامُّ فضلَ كل رجلٍ على كل امرأةٍ ؛ بل المشاهَد فضلُ بعض النساء على كثيرٍ من الرجال ؛ إذا هن سَمَون إلى وظائف رجالهن التي زالوا عنها ؛ فإن العبرة عند الإله الحق بحقائق الأمور لا بِصُوَرها.

- لم يعرف تاريخ البشرية -مع رسوخ هذه الفروق الطبيعية بين الرجال وبين النساء مُذْ خُلقوا بها- هذه الحرب الكاذبة الخاطئة بينهما ؛ كاذبةٌ خَلَّقت الجاهلية الآخِرة وَقودَها خلال ثغرات الضعف الأنثوي تخليقًا ، وخاطئةٌ أُريد بها تصريف طاقات العداوة الإنسانية في غير مجاريها التي

خُلقت لها ، فهي عَوْراء التصنيف حَوْلاء التصريف ، وما بين ناقضها وبين نقضها إلا إيقاظُ الفِطَر إلى زيفها.

- إذا اجتمع كيد ذكران الإسلام وإناثه على ما يستحق الكيد من أعدائه ؛ لم يبق منه فيما بينهم إلا ما يؤكد وجودهم في هذه الحياة الدنيا ، ويَشهد للمسافة الطبيعية بينهم ، ويُقرِّر سنة الله في اختلافهم وآثاره السُّوأى والحِسان.

- الأصل مساواة الرجال والنساء في التكاليف العقدية والعملية ، إلا ما اختُص به أحدهما من التكاليف العملية ، وهذا إجماعٌ لا يماري فيه إلا جهولٌ أو زنديقٌ.

- لا طاعة على الرجل لامرأته في الإسلام ، وكيفَ يكون في شريعة قومٍ يعقلون ؛ حتى يُنسب إلى الرب الأعلى! بل غاية الأمر في الإسلام أن يوافق الرجل امرأته على ما تحب ؛ ما لم يكن إثمًا أو ضررًا ، وكان في مقدوره نفسًا وحِسًّا ، وهو مقتضى المحبة الصادقة من جهةٍ ، وداعي الأفضلية من جهةٍ أخرى.

- يجب على المرأة أن تطيع زوجها فيما أمرها به إذا كان على وجه الإلزام ، ويُستحب إذا كان على وجه الندْب ، إلا أن يكون حرامًا أو مكروهًا ، أو غير مستطاعٍ لها نفسًا أو حِسًّا ، والاستطاعة النفسية في شريعة الرب -جلَّ ثناؤه- كالحِسية.

- في الحقوق بين الرجل وبين المرأة أمورٌ متفقٌ عليها ، وأمورٌ مختلفٌ فيها ، والواجب عند التنازع الرجوع إلى أصول الشريعة وفروعها التي تُعَضِّدها الفِطَر القويمة والنفوس السوية والأعراف الصحيحة.

- ما يكلِّف الرجل به المرأة إن كان لا يقدر عليه هو ؛ فأَنَّى تقدر عليه هي! إلا أن يكون من جنس ما تقدر عليه النساء دون الرجال.

- الرب الذي منه الحُكم وإليه الرُّجعى عليمٌ بالظواهر خبيرٌ بالبواطن ؛ فأيُّما رجلٍ أو امرأةٍ أراد التحلل مما كلفه الله به ، ثم ألبس ذلك لَبوس الشرع الأكرم ليجادل بالباطل ؛ فجزاؤه عند الله هو جزاؤه ، بئس ما جنى على نفسه في الحياة الدنيا ، ثم ويلٌ له من نسبة فعله إلى شريعة الله القُدُّوسة يوم يقوم الحساب.

- النسوية بناءٌ تراكميٌّ جاهليٌّ بأصله ، له أُسسه اللغوية والفلسفية وأركانه التشريعية والأخلاقية المُحادَّة كلُّها للإسلام بأصله ، وما كان فيه من بعض الحق فالواجب تجريدُه منه ونزعُه عنه ليَخِرَّ سقفه على أهله.

- العنوان الذي يستحفظه النسويون دائمًا على هذه الحرب هو "حقوق المرأة" ؛ لكن الحقيقة اليتيمة تحته هي حفظ الحرب ناشبةً دائمًا بينها وبين الرجل ؛ تغفيلًا عن قُصودها تحصيلًا لحصادها.

- لا يعرف الإسلام "الذكورية" كما يزعم الأجرياء عليه بجهلهم وضَلالهم إذ يُناوؤون النسويين ، كبُرت كلمةً يفترونها مكايَدةً عبثيةً ، إن يقولون إلا دجلًا ، وما تزيد هذه الدعاوى شريعة الإسلام إلا خرابًا ، والنسوية الجاهلية إلا عمارًا.

- في النسوية الإسلامية المفتراة عليه من أنواع الشرور العقدية والعملية والأخلاقية ؛ ما ليس في النسوية الجاهلية التي لا تصانع الإسلام في شيءٍ من ذلك بل تُحادُّه فيها وتُشاقُّه ، وكلٌّ من وحي الشيطان وحزبه الخاسرين.

- في النسوية من نواقض الإسلام العقدية والعملية الصريحة ما لا يُحصى ولا يُستقصى ؛ بل هي دعوةٌ إلحادية الغاية ظاهرٌ إلحادها ، مهما تدثرت اضطرارًا بشيءٍ من الأديان في سُبل تحقيقها.

- ليست النسوية أفكارًا مجرَّدَةً في المدافعة عن النساء -بحقٍّ أو بباطلٍ- سَلبًا ، ولا في مناصرتهن -بعدلٍ أو بظلمٍ- إيجابًا ، لعل صورتها كانت كذلك أول ما استنبتها إبليس في نفوس أهلها استنباتًا ، فأما اليوم فهي منهجٌ كاملٌ -في عقول معتقِدِيه- في الكونيات والشرعيات على السواء.

- يَنقص في الرجل من الذكورة بقدْر ما يزيد فيه من النسوية ، ومن كانت بدايته النسوية كانت نهايته اللوطية ، ولعل لوطيته الخفية هي البداية الحقيقية والنسوية الجَلية هي النهاية الصورية ، ولا تكون امرأةٌ نسويةً إلا بقدْر الاسترجال النفسي فيها ، ولا تزال النسوية بها حتى لا تُبقي من أنوثتها النفسية شيئًا ولا تذر ، وقد تتسق فتُزيل أنوثتها الحِسية وتتحول جنسيًّا ، أو تُقِرُّ السِّحاق قارفتْه أم لم تقارفه ؛ لكنه يبقى صورةً من صور الاتساق النسوي لا تخفى على خبيرٍ.

- ما بقيت شريعة الإسلام مغيَّبةً عن المسلمين ؛ فلا غَرْوَ أن يشيع الظلم فيما بينهم حتى يكون على توالي الدهور صِبغة نفوسهم ، إلا قليلًا ممن أنجى الله وعصم كالشعرة البيضاء في مَتْن ثورٍ أسود ، ظُلم الكافَّة للكافَّة ؛ لكن يبقى ظلم النساء أشنعَ في نفسه لضعفها وعجزها غالبًا ، ثم في تَدَسُّسِ شياطين الجن والإنس من ثغراتها لإيقاد النار ، وما شايَع باطلًا في الأرض مُذْ نبت فيها باطلٌ على استحياءٍ إلى قيام شيخ الباطل

المسيح الدجال مِثلُ النساء ؛ كيف إذا كان باطلًا موهِمًا بحمايتها مضلِّلًا بنصرتها مزيِّفًا بحقوقها!

- في كثيرٍ من الدعاة إلى الإسلام كثيرٌ من الظلم لا تخفى آثاره ؛ للرجال وللنساء ، ولأنفسهم ، وللإسلام في عقائده وشرائعه وأخلاقه ، وهو ظلمٌ قبيحٌ من جهة إسلامية أهله التي يفيء إليها الناس آمنين مطمئنين ؛ غير أن أظلم الظلم أن يُقايَس كل ظلم النساء من هؤلاء الدعاة ببعض ظلم العلمانيين والليبراليين لهن ، في التصورات الشيطانية والتصرفات السَّبعية على السواء ، ولا تلوذ امرأةٌ من الإسلاميين بالعلمانيين إلا لاذت من الحر بالنار ، وكل الظلم حرامٌ.

- لَمَوْضِعٌ عزيزٌ كريمٌ وضعه الله للمرأة أول يومٍ في الإسلام ؛ خيرٌ لها من كل موضعٍ وضعته لها الجاهلية لو كانت تفقه ، ولئن أسعد نفْسَ امرأةٍ في دين النسوية أنها علة الأحكام التي تُدار عليها وجودًا وعدمًا ؛ فإن طمأنينة قلب المسلمة في دين الإسلام بحكمة ربها مقدِّمًا مؤخِّرًا أشدُّ وأكفى.

- ليست المرأة النسوية حين تتوهم نفسها كبيرةً ؛ إلا أصغر من طفلٍ قعيدٍ لا يمرُّ به ذو رحمةٍ إلا رَثَى له وأشفق عليه ؛ بَيْدَ أن هذا الطفل لا يستجدي هؤلاء الرُّحماء رحمتهم ، وهذه النسوية تَقطع العمر كله في الاستجداء ، ومِن قُساةٍ لا يرحمون ، وليست حين تتوهم نفسها حرةً ؛ إلا أَمَةً لا تدري كل يومٍ أين المستقَر! وليست حين تتوهم نفسها واسعة العقل ؛ إلا بلهاءَ متناقضةً يضحك منها المجانين.

- ما رضيت امرأةٌ بالنسوية دينًا ابتغاء الحرية والكرامة والرِّفعة ؛ إلا عاملها الله بنقيض قصدها فذلَّت وهانت ووُضِعت ؛ فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته ، وليس بعد قِسطاس الإسلام إلا جَوْر الجاهلية.

- لا تَقرُّ عينُ امرأةٍ بدساتير الجاهلية الباغية وقوانينها الطاغية على الرجال ، بدعوى "حقوق المرأة" ومناصرتها ؛ إلا وفي قلبها نفاقٌ ، لا يشفع لها ظُلم ظالمٍ من الرجال ، وإنما استقواء المؤمن بحُكم ربه لا بحُكم الطاغوت.

- ما أبغض النسوية عبدٌ يَشهد ظلم امرأةٍ قد أقدَره الله على حمايتها ، ثم هو لا يُسْعِفُها بكل ما قدَر ، أما الظالمون النساء بأنفسهم فأولئك أعْونُ الناس على النسوية وإن لعنوها بكل قلمٍ ولسانٍ ؛ فإن العبرة عند الله بالحقائق لا بالصور ، ليس الظلمَ الجزئي العارض اليسير الذي يغشاه أكثرُ الخُلطاء أعني ؛ فإنه لا يكاد يسلم منه رجلٌ ولا امرأةٌ ، إنما هو الظلم الكلي الدائم العظيم.

- ليس وراء كل منقلِبةٍ من شريعة الإسلام إلى شريعة النسوية ظُلم ظالمٍ من الرجال ؛ بل وراء أكثرهن شهواتٌ ظاهرةٌ أو باطنةٌ ، وما عوقب ذو شهوةٍ يُصِرُّ عليها بمِثل شبهةٍ يصير إليها ، ولئن انتكسن بالظلم جميعًا ؛ فما هو عند الله بعذرٍ لهن حتى يَلِجَ الجمل في سَمِّ الخِياط ؛ فأشفقوا على الخلق بإحقاق الحق.

- ظُلم الوالد والأخ والزوج والولد وسائر ذكران الإنس والجن ، لو اجتمع على امرأةٍ واحدةٍ يكيدون لها كيدًا ، ويمكرون بها الليل والنهار ؛ لا منتصِر لها منهم إلا بالله ورسوله ودينه ، لا يكون غيرُ الله والنبي والإسلام نصيرًا.

- حركة كلٍّ من الزوجين في اتجاه كلٍّ ؛ هي الصراط المستقيم والتوفيق العظيم ، الذي يبارك به الله ما بينهما بَطنًا وظَهرًا ، ويعصمهما به من الوَكْس والشَّطط عملًا ونظرًا ، ويُبطل به كيد أعداء الإسلام عَينًا وأثرًا.

- ما جمَع الزوجين إسلامٌ وعقلٌ ومودةٌ ورحمةٌ يتقلَّبان بينها ، إذا ضعُف سببٌ منها قوِي آخر ، وعرف كلٌّ منهما حدود الله وسعى في أدائها ؛ حفظهما الله بين ستره وبين جبره لقاءَ ذلك ، وأغاثهما برأفته ورحمته كلَّ جفوةٍ بينهما وجفافٍ ؛ إلا بلاءً منه يقدِّره بينهما لحكمةٍ بالغةٍ قضاها ، وهو العليم الحكيم.

- نصوص الإسلام لا تغازل الإناث ، وفقهه لا ينحاز للذكور ، ورجال السلف الصالح ليسوا صبيانًا في حواري العلمانية المظلمة ، ولا فتياتٍ في زنقات الليبرالية المتسخة. الإسلام نصوصًا وفقهًا ورجالًا في شغلٍ عن عِراكاتٍ تفرضها الجاهلية بعِراكاتٍ يفرضها هو ، كفى بشمس الإسلام وقمره وتبًّا لشُموع السُّكارى.



لطائف

- "يَهَبُ لِمَن يَشَآء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ".

أخَّرت الجاهلية الإناث فبدأ الله بهن ، ومن قدَّم الله لم يضرَّه تأخيرٌ.

- "لا تكرهوا البنات ؛ فإنهن المؤنسات الغاليات".

من ذاق يا رسول الله عرف حقَّ وصفك لهن ، وأذقِ اللهم من لم يذق نعيم رحماتهن.

- "اللهم إني أُحرّج حقَّ الضعيفين ؛ اليتيم والمرأة" ؛ جعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بنفسه الحرج على من ظلم اليتيم والمرأة في الدنيا والآخرة ، وتأمل -رحمك الله- كيف عطف المرأة على اليتيم!

إن اليتيم والمرأة لتجمعُهما حقيقة الافتقار إلى السَّند والظَّهير ، وإن جمْع نبي الله بينهما لبالغٌ غاية الكفاية بعلَّتهما ودوائها ، وإن من أوسع بركات مقادير الرحمن في نفسي أني نشأت يتيمًا وفي حجر أمي ، فأشهدني -سبحانه- معاني حاجتي ووالدتي جميعًا إلى عواصم السَّند والظَّهير ، وصرت بهذا القضاء الجميل من ربي أبًا لعامة أصدقائي الصغار ، وإن لم أكن أبًا لأحدٍ حقيقةً ، وبلَّغني مولاي -له الحمد وعليه الثناء- في الشعور بالأرامل والثكالى مبلغًا حسنًا ، بقي أن أستعينه -تعالى- على حقه.

اللهم ربنا املأنا بمحاويج خلقك رأفةً ورحمةً ، واجعلنا عكاكيز يدَّعمون عليها في مُدْلَهِمَّاتِ الحياة.

• "فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ" ؛ من السُّقيا إلى الظل ثلاث لطائف:

الأولى: آلشرف والمكرمة للمرأتين إذ سقاهما نبيٌّ ؟ أم للنبي إذ عطف على امرأتين بالغوث ؟

الثانية: الربانيون مجّانيون ؛ إذا حَلّوا تولّوا ، لا ينتظرون الشكر على أبواب المعروف ، حسبهم ما تحس أفئدتهم من روائع لذّاته ، ثم ما تشهد عيونهم من النُّضرة في الوجوه ، والآخرة خيرٌ جزاءً وأوفى.

الثالثة: إن النبيل إذا خصته امرأةٌ بقضاء حاجتها فقد وفَّته ثوابه قبله ؛ ذلك من آداب الكليم.

• "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ".

حروفٌ طوى بها جبريلُ السبع الطِّباق ، ونزل بها من الرحمن تملأ الآفاق.

أي عجبٍ ؟ الشكوى شكوى امرأةٍ ، والسمع سمع الله ، وبين الله والمرأة رسول الله.

• "قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي".

لو علم هارون أحدًا بينه وبين أخيه أقرب من أمه ؛ لاستعطفه به.

كما كانت الأم غاية الحنان ؛ كانت وسيلته.

• "هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ".

اللباس الستر الاختياري الجميل المناسب لكل حالٍ في العام ، والزوجان لبعضهما سترٌ اختياريٌّ جميلٌ مناسبٌ لكل حالٍ بينهما ؛ ألا إن أولى الزوجين بستر الله -في الدنيا والآخرة- أوفاهما بستر صاحبه.

• "رفقًا بالقوارير" ؛ نثر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعواد الحروف عُودًا عُودًا ، فاصطفى "القارورة" وصفًا يفيض لطفًا ورقةً لمبناهنَّ ، ثم أعاد نثرها فاصطفى "الرفق" خُلقًا شاملًا لمعناهنَّ.

• قال صالح بن الإمام أحمد رحمهما الله: كان أبي كلما ولدت له ابنةٌ ؛ قال: الأنبياء آباء بناتٍ.

• "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ" ؛ قدَّم ما لهن على الذي عليهن ، حق الضعيف على القوي.

- "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في خدمة أهله ؛ يخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم" ؛ لغتي عاجزةٌ عن التعليق ، حسبي الصلاة عليه.

- الحمد لله الكريم الحكيم على ما قضى للحامل بانقطاع حيضها.

ما أحوج روحها وعقلها وزوجها وجنينها إلى بركات الصلاة وأنوارها!



خاتمة

نختم بهذه المواساة اللطيفة لمن لم يُرزق بالزواج حتى هذه اللحظة:

وما يدريك! لعل الله أخَّر زواجك لخَصلة فاسدةٍ في باطنك أو ظاهرك لا يُشقيك وذرِّيَّتك مثلُها؛ فربُّك يؤخِّرك -لطيفًا خبيرًا- حتى تنزِعَ عنها، أو خَصلةٍ صالحةٍ لَمَّا تكتسبها لا يُسعدك وذرِّيَّتك مثلُها؛ فربُّك يؤخِّرك -رؤوفًا رحيمًا- حتى تُحصِّلها؛ فاشغل نفسك بما لله عندك؛ فإن ما لك عنده قد كفاك إياه.

هو الله لا يقدِّم ما حقُّه التأخير ولا يؤخِّر ما حقُّه التقديم، وأنت عبدٌ ناصِيتُك بيده ماضٍ فيك حُكمه عدلٌ فيك قضاؤه، كم أشهَدَك في سالف حياتك أن اختياره لك خيرٌ من اختيارك لنفسك! وكم رجوت تقديم أمرٍ لم يكن عَطَبُك إلا في تقديمه! متى تُسَلِّم له الأمر تسليم العارفين به وتكون على كل حالٍ رَضِيًّا!

إني -وأنا عبدٌ جاهلٌ مسكينٌ- أُبصر في كثيرٍ ممن يشتهون الزواج بين يديَّ من العيوب والذنوب؛ ما أرجو الله به -في نفسي- تأخير زواجهم حتى يتوب الله عليهم منها؛ ذلك أن أنواعها وآثارها في معاشرة النساء وتربية الأبناء عظيمة الضرر؛ كيف عيوبهم وذنوبهم في عين ربٍّ عليمٍ أحاط بها خُبرًا!

تم بحمد اللهِ..